



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
- جامعة ابن خلدون - تيارت
كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية
قسم العلوم الإنسانية - فرع التاريخ



مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث و المعاصر
موسومة بـ:

السياسة الإستعمارية و انعكاسها على الجزائريين
بالقطاع الوهراني 1830 - 1914م

إشراف الاستاذ
- بكاري عبد القادر

إعداد الطالبين:
قشاوي بن عليّة
قادري نصر الدين

أعضاء لجنة المناقشة

رئيسا
مشرفا و مقرا
عضوا و مناقشا

د.بن صحراوي كمال
د. بكاري عبد القادر
أ.حسنّة كمال

الموسم الجامعي

(1437.1438هـ) الموافق لـ (2016.2017م)



سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
رَبَّ الْعَرْشِ الْمَجِيدِ

شكر وعرفان

نشكر الله عز وجل على نعمته علينا بهداية العلم وتوفيقه على إتمام هذا العمل.

بكل عبارات والتقدير والاحترام، وبكل كلمات الشكر والعرفان نقدم تحياتنا إلى الأستاذ المشرف د. بكاري عبد القادر الذي لم يبخل علينا بنصائحه وتوجيهاته.

كما نتقدم بالشكر الجزيل كل أساتذتنا الذين استفدنا منهم بالنصائح العلمية، وبالأخص الغائبة عنا الحاضرة في قلوبنا وعقولنا المرحومة الأستاذة " بقيق زهرة "

وفي الأخير نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من قدم لنا يد العون من هيئات علمية التي أسهمت في إنجاز هذا البحث عن طريق تقديم بعض التسهيلات، التي أسهمت في إنجاز هذا البحث، عن طريق تقديم بعض التسهيلات ونخص بالذكر عمال المكتبة سواء بالكلية أو خارجها.

الإهداء

أهدي عملي هذا إلى من أوصى بطاعتهما الله عز وجل

فقال: "وقضى ربك إلا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً"

أولا إلى روح والدي الطاهرة الذي لم يدخر جهدا من أجل إسعاد أسرته.

إلى الوالدة العزيزة أطال الله في عمرها، التي حرسه و سهرت الليالي من

أجلنا وارجوا من الله أن يمتعها بالصحة والعافية فعلا هي أحق الناس

بصحتي من البشر أُمي الغالية

إلى زميلي الذي قاسمني هذا العمل قادري نصر الدين

كما أهدي هذا العمل إلى جميع إخوتي وأخواتي (مراد فريد ناجي

محمد مخطار حسين) إلى جميع الأهل والأقارب وإلى جميع أصدقائي إلى

كل الزملاء والزميلات بجامعة ابن خلدون - تيارت - خاصة طلبة المغرب

العربي الحديث والمعاصر إلى كل من هو في ذاكرتي ولم أذكره في

مذكرتي.

قشوري بن علي

قائمة المختصرات:

تق	تقديم
ج	الجزء
د ط	دون طبعة
د ت	دون تاريخ
م	ميلادي
ط	طبعة
تع	تعليق
تح	تحقيق
تر	ترجمة
ص	صفحة
م	مجلد
ع	عدد
تج	تجميع
د ب	دون بلد
ط خ	طبعة خاصة
د د ن	دون دار النشر

Page	P
Série	S

مقدمة

شهدت الجزائر في القرنين 19م و20م تحولات اقتصادية واجتماعية حيث أثرت هذه التحولات على الجزائر بصفة عامة والقطاع الوهراني بصفة خاصة، والتي أدت إلى التردّي في الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بها، وذلك بعد تعرض الجزائر للاستعمار الفرنسي، وهذا الأخير قام بتشجيع الهجرات الأوربية من مختلف الأقطار، ولقد أصبحت الجزائر بعد 1832م محط أنظار فرنسا حيث رأت في الجزائر هي حل لمشاكلها المتداخلة والمعقدة لتعويض خسائرها الناجمة عن الأزمة الاقتصادية التي عصفت بفرنسا خاصة وأوروبا عامة، معتمدة في ذلك على سن قوانين وقرارات مختلفة، لنزع الأراضي أحيانا، والقيام بتجزئة الملكية الجماعية للقبائل والعروش أحيانا أخرى، مما جعلها تسيطر على القطاع الوهراني سنة 1831م، كما تعتبر هذه المنطقة غنية بالثروات الطبيعية المختلفة، فرأت فيها فرنسا أنها هي المخلص لها لاستيعاب المعمرين القادمين من أوروبا فاعتمدت كل الوسائل للاستيلاء على أراضي الأهالي الجزائريين فتارة كانت تستعمل أسلوب الليونة وأساليب الإغراء، وتارة أخرى استعملت القوة لإخضاع السكان، والقبائل المرتدة، محدثة تحولات عميقة في المجتمع الجزائري وخاصة في قطاع وهران، لأن هذا القطاع يتمتع بموقع جغرافي مميز، كما مارست سلطات الاحتلال عدة سياسات مست جميع المجالات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وذلك بهدف تكريس جهودها بالجزائر وتطبيق سياستها الاستيطانية حيث كانت السلطات الاستعمارية تهدف لاستغلال واستنزاف الاقتصاد الجزائري، وكل تلك السياسات أثرت على المجتمع الجزائري وأفقرته وهمشته وأوصلته لأن يصبح في أسوأ حالات الفقر والعجز والتجهيل.

كان من الطبيعي أن يقوم السكان الجزائريين بردود أفعال اتجاه السياسة الاستعمارية التي كانت في خدمة المستوطنين، وذلك بالرغم من الفارق الشاسع بين المستعمر والمستعمر وكانت على شكل انتفاضات ومقاومات شهدتها المنطقة وهذا ما حرك السلطات الاستعمارية للقيام بأعمال وحشية، اتجاه الأهالي فكلفتهم الآلاف من الضحايا.

عرفت الجزائر عدة تغيرات اقتصادية واجتماعية إبان فترة الاحتلال التي تأثر بها القطاع الوهراني، وفي هذا الإطار يدور موضوع بحثنا المعنون بـ: "السياسة الاستعمارية وانعكاساتها على الجزائريين بالقطاع الوهراني خلال الفترة الممتدة من 1830م إلى 1914م".

ولمعرفة الوضع العام للقطاع الوهراني خلال هذه الفترة تم طرح إشكالية أساسية هي: التحولات التي عرفها القطاع الوهراني ومدى انعكاسها على الجزائريين.

وتتفرع هذه الإشكالية إلى مجموعة من الأسئلة الفرعية أهمها:

- ماهي مميزات السياسة الاستعمارية التي انتهجتها فرنسا في القطاع الوهراني؟
- كيف كان الوضع الاجتماعي في القطاع الوهراني؟
- مما تشكلت بنية المجتمع في إقليم وهران؟
- ما هي السياسة التعليمية التي اتبعتها فرنسا في الغرب الجزائري؟
- كيف تميزت المقاومات الشعبية التي ظهرت خلال القرنين 19م و20م؟

وتكمن أهمية الموضوع في كونه ينتمي إلى فترة مهمة من تاريخ الجزائر حيث عرفت هذه الفترة تغير في موازين القوى بعد أن كانت المنطقة تحظى باستقرار سياسي بعد استرجاعها من الأسبان 1792م، لتدخل في دوامة الاستعمار الفرنسي الذي كان يطمع في ثرواتها الطبيعية وخلق سياسة اقتصادية تصب في صالح سلطات الاحتلال ما جعل السكان الأصليين يعملون كخماسين وغرباء في أرضهم عكس المستوطن الأوربي، الذي حضى بمكانة مرموقة كما يصور هذا البحث الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية المزرية التي عرفها سكان المنطقة، وبها تغيرت طبقات المجتمع في المدن والأرياف.

كان اختيارنا لهذا البحث من أجل الاطلاع الكافي على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لهذه المنطقة، ومعرفة أهم النقاط والمراحل والأحداث التاريخية التي مرت بها منطقة القطاع الوهراني خلال الفترة الممتدة من 1830م إلى 1914م، حيث تمثلت هذه الفترة الزمنية الطويلة مرحلة صعبة ومأسوية خلال الوجود الاستعماري للجزائر، بالإضافة إلى تسليط

الضوء أكثر على السياسة الفرنسية المتبعة في حق سكان المنطقة، ألا وهي مصادرة الأراضي من خلال سن القوانين والتشريعات المجحفة بحق الأهالي مما أدى ذلك إلى تفكير الشعب الجزائري وتجهيله، وذلك من خلال السياسة التعليمية المتبعة من طرف الإدارة الفرنسية ونتج عن ذلك وجود ثورات شعبية مختلفة.

كما اتبعنا في هذه الدراسة المنهج التاريخي السردى لسرد المادة العلمية وتدوين الأحداث التاريخية متبعين في ذلك التقسيم الزمني والتتبع التفصيلي الذي جعلنا نمس بعمق أكثر اثر الاحتلال الفرنسي على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في القطاع الوهراني، كما تم الاعتماد على المنهج الإحصائي الذي يركز على الأرقام ويعرض الإحصائيات التي تعطي صورة على مختلف الأوضاع خاصة في جانبها الاقتصادي والاجتماعي، ونفسر اعتمادنا على عدة مناهج تاريخية من أجل تحقيق الهدف العلمي وإعطاء صورة واسعة على واقع المنطقة.

لدراسة هذا الموضوع اعتمدنا على خطة بحث مقسمة إلى مقدمة ومدخل وثلاثة فصول، وخاتمة، المقدمة كانت عبارة عن تمهيد للموضوع، وإشكالية عامة، إضافة إلى طرح بعض التساؤلات الفرعية، وذكرنا أهمية الموضوع ودواعي اختيارنا له، وكما ذكرنا المنهج المتبع، أما المدخل تناولنا فيه الأوضاع العامة للجزائر وبايلك الغرب قبيل الاحتلال الفرنسي حيث تطرقنا فيه إلى عدة أحداث مهمة في تاريخ الجزائر، كفتح وهران وثورة درقاوي بالإضافة إلى الأوضاع السياسية والاقتصادية التي عرفت الجزائر والمنطقة المدروسة.

فيما يخص الفصل الأول الذي عنوانه بالسياسة الاستعمارية في القطاع الوهراني اندرج تحته ثلاثة مباحث، بالنسبة للمبحث الأول تضمن الاستيطان الفرنسي ومراحل، ومن خلاله قسمنا الاستيطان إلى نوعين، الاستيطان الرسمي والاستيطان الحر والتركيز على أهم المراكز الاستيطانية التي كانت موجودة في المنطقة، والمبحث الثاني تضمن مصادرة أراضي الجزائريين وإقامة المستوطنات، وتناولنا فيه القوانين والتشريعات التي نصت على مصادرة الأراضي كقانوني سيناتوس كونسيلت 1863/04/22 Sénatos consult وقانون واري Warnier

1873/07/26م ومعرفة مساحة الأراضي المصادرة من الأهالي أما المبحث الثالث فعنون بالمكاتب العربية ودورها في الاستيطان حيث تطرقنا فيه إلى دور المكاتب العربية في إحصاء الأراضي، وذكرنا فيه كذلك سلبياتها.

أما الفصل الثاني فكان بعنوان الأوضاع الاجتماعية في القطاع الوهراني 1830-1914م، احتوى بدوره ثلاثة مباحث: كان يحتوي المبحث الأول على بنية المجتمع السكاني في القطاع الوهراني، والذي تكلمنا فيه عن القبائل والعروش وأهم الأسر والفئات الدخيلة عن المجتمع في القطاع الوهراني، والمبحث الثاني عنون بالتعليم بالقطاع الوهراني 1830م-1914م، وتناولنا فيه التعليم العربي الحر وأهم مراكزه وتعليم الكولونيالي الذي جاء لخدمة مصالح المستوطنون، أما المبحث الثالث فعنون بالوضع الصحي للسكان بالقطاع الوهراني وتحدثنا فيه عن وجود أهم المراكز الطبية وأهم المجاعات والأمراض والأوبئة التي تعرض لها المجتمع وعن أسبابها ونتائجها.

فيما يخص الفصل الثالث الذي عنوانه بانعكاسات السياسة الاستعمارية الفرنسية وآثارها على السكان بالقطاع الوهراني، والذي اندرج تحته ثلاثة مباحث، المبحث الأول: المقاومات الشعبية المناهضة للسياسة الاستعمارية، وتحدثنا فيه عن مقاومة الأمير عبد القادر ودوره الجهادي في المنطقة وعلاقاته بفرنسا بالإضافة إلى عدة مقاومات أخرى كمقاومة سيدي الشيخ ومقاومة ابن علال وابن التوهمي، والمبحث الثاني الذي كان عنوانه تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للسكان حيث تحدثنا فيه عن النظام الضريبي الذي أثقل كاهل السكان ونظام الخماسة الذي جعل الفلاح الجزائري كأجير في أرضه والمبحث الثالث: هجرة السكان التي قسمناها إلى نوعين: الهجرة الداخلية التي كانت من الريف إلى المدينة، وهجرة خارجية والتي كان اتجاهها من الجزائر إلى الدول المجاورة والدول المشرقية وفرنسا كما تحدثنا على أهم هجرة التي عرفتها المنطقة وهي هجرة تلمسان 1911م.

كان من الضروري الاعتماد على مجموعة من المصادر والمراجع سواء كانت عربية أو فرنسية والتي أفادتنا في انجاز موضوعنا، نذكر منها:

المصادر:

- **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا في أواخر قرن 19م:** في جزئه الاول، لابن عودة المزابي وتتجلى أهمية هذا المصدر في معرفة أهم الثورات والتمردات التي كانت في الجهة الغربية بالإضافة إلى فتح وهران.
- **كتاب المرأة:** لحمدان بن عثمان خوجة، والذي أفادنا في الحديث عن الأوضاع الاقتصادية التي ميزت الجزائر قبيل الاحتلال الفرنسي.
- **مجاعات قسنطينة** لمحمد صالح العنترى والذي تناول فيه أهم الأوبئة والمجاعات التي عرفت الجزائر.

المراجع:

- **الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض بجزائره:** لعدة بن داهة، حيث أفادنا كثيرا في التعريف بالاستيطان الحر والاستيطان الرسمي، وأهم المستوطنات والمراكز الاستيطانية والتي كانت موجودة في المنطقة ويعتبر هذا الكتاب مرجع مهم في دراسة الاستيطان الفرنسي.
- **الجزائريون المسلمون وفرنسا بجزائره:** لشارل روبير أجيرون، والذي اعتمدنا عليه في التعرف على السياسة التعليمية الفرنسية وأهم الضرائب التي كانت تفرض على السكان وأهم الإحصائيات لأراضي المصادرة من الأهالي.
- **سياسة التسلط الاستعماري:** ليحيى بوعزيز الذي تحدث كثيرا عن المراحل السياسية الاستيطانية.
- **القطاع الوهراني:** لإبراهيم مهديد الذي تكلم عن السياسة الاستيطانية وأهم الضرائب المفروضة عن السكان، كما يتحدث عن الجانب الثقافي والتعليمي ومعرفة أهم القبائل والأسر الموجودة في القطاع الوهراني.

- ثورات القرن التاسع عشر ميلادي: ليحيى بوعزيز ومن خلالهم عرفنا جميع المقاومات التي ظهرت في القرن 19م، وخاصة مقاومة الأمير عبد القادر.

المصادر باللغة الأجنبية:

J.pichon, Abdel kader sa jeunesse, son role politique et religieux son role militaire, sa captivité sa mort (1807-1883)

الذي يعتبر مصدر مهم حول حياة الأمير عبد القادر والذي أفادنا في ترجمة سيرة الأمير عبد القادر وما تعلق بميلاده.

أهم الصعوبات التي واجهتنا في إنجاز هذا الموضوع:

- طول الفترة الزمنية للموضوع والتي تمتد من 1830-1914م والتي كانت عائق لنا في دراسة الموضوع.

- إضافة إلى تشابه المادة العلمية.

وختمنا البحث بخاتمة شملت أهم النتائج المتوصل إليها من الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في القطاع الوهراني.

مدخل

تميزت الفترة الأخيرة من الحكم العثماني في الجزائر بالفوضى والاضطراب وهذا ما أثر على البلاد ولم يسلم من هذا بايلك الغرب الذي كان مسرحا للعديد من الأحداث الداخلية والخارجية وسوف نعالج من خلال هذا الاوضاع العامة التي آلت اليها الجزائر في تلك الفترة

1 الأوضاع السياسية لبائلك الغرب أواخر العهد العثماني:

دخل النظام التركي في الجزائر في السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر ميلادي والثلث الأول من القرن التاسع عشر ميلادي أزمة عامة، ووجدت البلاد صعوبة في تجاوزها بالسرعة المطلوبة¹. إذ حكم في الفترة ما بين 1805م إلى 1816م ستة دايات وكان أولهم الداوي باشا، وآخرهم عمر باشا قُتلوا كلهم².

كانت قبائل البلاد في هذه الفترة تعيش في فوضى واضطرابات محلية، ففي الشرق ثارت كل من قبائل النمامشة ووادي سوف على الحكم، لكن الباي استطاع أن يخمد فتنتهم بعد حرب دامت ثلاث سنوات (من 1819م إلى 1821م)³، وفي المنطقة الغربية كانت عدة ثورات، كالتيجانية الذين تحالفوا مع العديد من القبائل، كالحشم الذين حثوا التجانيين للقُدوم معهم لقتال الأتراك⁴، إضافة إلى تلك التمردات الداخلية، تعرضت الجزائر إلى العديد من الحملات الأوربية، ففي بداية 1816م تلقى اللواء إيكسموث الأمر بالسير إلى بلدان المغرب ليطلب منها تحرير العبيد، وقد وصل الأسطول الإنجليزي إلى الجزائر في أبريل من نفس السنة وحصل على ما أراد وأحرق حوالي 51 ألف قذيفة من مختلف الأنواع⁵، بلغ عدد القتلى من الجزائريين حوالي 600 قتيل، وتم تدمير الأسطول الجزائري بعد اعتراف الجزائريين بعجزهم عن

¹ - صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي، (د ط)، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، (د ت)، ص: 189.

² - علي خلاصي، قصبة مدينة الجزائر، ج 1، ط 1، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص: 12.

³ - المرجع نفسه، ص: 17.

⁴ - ابن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وأسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19، ج 1، (د ط)،

تح: يحيى بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د ت)، ص: 355.

⁵ - صالح عباد، المرجع السابق، ص: 219.

المزيد من المقاومة، في الوقت الذي كان فيه الأسطول الإنجليزي المشترك يبدوا على استعداد لاستئناف الهجوم، وفي غضون نهار 28 أغسطس اعترف الجزائريون بهزيمتهم وقبلوا الشروط المهينة التي قدمها إليهم المنتصرون¹.

كانت الجزائر مقسمة إلى بايلكات، على رأس كل بايلك باي يحكمه، أولهم بايلك التيطري اقربهم الى دار السلطان قاعدته المدية وثانيهم بايلك الشرق يعني الجهة الشرقية قاعدته قسنطينة، وثالثهم بايلك الغرب يعني الجهة الغربية من البلاد، وقاعدته وهران، كان هذا الأخير مقسما إلى قسمين أحدهما (مازونة)، وثانيهما (تلمسان)، وأصبح في القرن الثامن عشر ميلادي عبارة عن قسم واحد، وصارت القاعدة (قلعة بني راشد) ثم صارت (أم عسكر) ثم صارت وهران في الفتح الأول ثم صارت (مستغانم) ثم صارت وهران في الفتح الثاني²، بعدما تحررت المدينة وخضعت لسلطة الأيالة والتي كان مقرها مدينة الجزائر وبذلك أصبحت عاصمة لبائلك الغرب³.

أ. فتح وهران:

تعد فترة الثلاث قرون التي عاشتها وهران تحت الاحتلال الأسباني كافية لتبعث طموحات التحرر من هذا الغزو، كانت المحاولات الأولى من الباي مصطفى بوشلاغم لكنه فارق الحياة دون أن يحقق أمنيته في تحرير وهران نهائيا⁴، ولم يكن ذلك إلا بمجيء الباي محمد الكبير، والذي عمل من أجل تحرير المدينة حتى تم له ذلك سنة 1792م، ليعيدها إلى أصولها

¹ - وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824)، (د ط)، تح، تع، تق: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982، ص: 292.

² - محمد بن يوسف الزباني، دليل الخيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تح، تق: المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 2013، ص: 249.

³ - عبد القادر بلغيث، الحياة السياسية والاجتماعية بمدينة وهران خلال العهد العثماني، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير، تاريخ وحضارة إسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2013-2014، ص: 40.

⁴ - أحمد توفيق المدني، حرب الثلاث مائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492-1792، (د ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د ت)، ص: 523.

الإسلامية، ويدخلها في حاضرة السلطة العثمانية تحت قيادة إيالة الجزائر في عهد الداوي حسن باشا، وطار خبرها للمشاركة والمغرب، وحصل السرور للمسلمين الأبعد والأقرب، واستبشروا بالفوز والريح، والنجاح والحبور¹، قالوا مصداقا لقوله تعالى: ﴿قَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾². الآية 34، سورة فاطر.

دخلها الباوي محمد بن مصطفى على رأس المجاهدين الجزائريين دخول الفاتح المنتصر يوم 24 فيفري 1792م، وكان أول عمل قام به بعد تحرير المدينة هو بناؤه للمسجد الكبير الذي اتخذ اسمه، اعترافا بفضله وصدقه وكفاحه³، وقد بعث حسان باشا بشارة فتح وهران ومفاتيحها إلى السلطان العثماني سليم، وفرح بذلك لتصبح عاصمة لبابك الغرب وتنال بذلك الأهمية السياسية والاقتصادية⁴، إلى غاية الاحتلال الفرنسي لها سنة 1831م⁵.

ب. ثورة درقاوة:

إضافة إلى تلك التمردات التي ذكرناها سابقا، فقد عرفت السنوات الأخيرة من الحكم التركي في الناحية الغربية حركة تمرد واسعة النطاق، بدأتها قبيلة أنكاد سنة 1802م، ثم واصلتها درقاوة في صيف هذه السنة حين تقدم عبد القادر بن شريف الساحلي الملقب "بالدرقاوي" إلى قبائل الجنوب الوهراني وحرصهم على الحرب ضد الأتراك، وقد التقى بباوي وهران مصطفى الممزالي في معركة فرطاسة، يوم 4 جوان 1805م، وكانت المباغتة لصالح الشريف الدرقاوي كما كان العدد في صالحه، ففر الجنود الأتراك كما فر الباوي إلى معسكر فاستولى ابن الشريف على معسكر⁶، ليأتي الباوي محمد بن عثمان الرقيق الملقب بالمسلوخ أبو كابوس، وقد تولى

¹ - ابن عودة المزاري، ج 1، المصدر السابق، ص: 266.

² - سورة فاطر، الآية 34.

³ - أحمد المدني توفيق، المرجع السابق، ص: 527.

⁴ - أحمد شريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، نقيب أشرف الجزائر [1754-1830]، (د ط)، تح: أحمد توفيق المدني، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2011، ص: 63.

⁵ - عبد القادر بلغيث، المرجع السابق، ص: 24.

⁶ - صالح عباد، المرجع السابق، ص: 202.

الحكم سنة 1808م، وبقي في الملك خمس أعوام، والذي انتقم من الدرقاويين وأتباعهم أشد انتقام، بحيث استعمل جميع أنواع العذاب معهم ونكل بهم¹، إن الثورات التي تعرض لها بايلك الغرب كحركة الدرقاويين والتي خلخلت الوضع العام بالمنطقة التي كان يرأسها باي طاعن في السن، فقد كان الباي حسان "شيخا قد مل الحكم ولذلك لم يكن يطمح إلا في حياة هادئة زيادة على أنه لم يخلف أولادا، كما أنه لم يكن محبوبا، لهذا لم يكن مؤهلا لمواجهة الفرنسيين عندما علم العرب بأن الفرنسيين دخلوا مدينة الجزائر، رفضوا أو يواصلوا الاعتراف بسلطة الباي وشقوا عصا الطاعة، زيادة عن ذلك نهبوا المزارع التابعة له، واستولوا على كل ما شئته كالدواب والخيول"² وهذا ما جعل الباي حسان من أن يسلم المدينة إلى الفرنسيين³.

I. الأوضاع الاقتصادية: لبائلك الغرب

تميزت السنوات الأخيرة من العهد العثماني في الجزائر بقلّة المحصول ورداءة الإنتاج وقد عرفت الايالة زراعات مختلفة كالأشجار المثمرة والتي نذكر منها التين والزيتون والبرتقال والعنب والخنوخ والخضار بمختلف أنواعها كالطماطم والخيار والبصل والبطاطس فقد انتشرت بكميات كبيرة في فحوص المدن إلى جانب الخضار كانت هناك جملة من المزروعات ذات الطابع التجاري كالقطن الذي كان يستنبط في سهول الشلف وجهات مستغانم أما التبغ فكان يزرع بنواحي عنابة وجهات دار السلطان بالعاصمة، وفي بعض الواحات الصحراوية⁴، وأصبح الاقتصاد الجزائري في العهد العثماني يتراوح بين الانتعاش في بداية القرن السادس عشر ميلادي حتى القرن السابع عشر ميلادي بسبب قدوم المهاجرين الأندلسيين الذين أدوا دورا مهما في

¹ - ابن عودة المازري، ج 1، المرجع السابق، ص: 328.

² - حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، (د ط)، تق، تع، تح: محمد العربي الزيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006م، ص: 187-188.

³ - نفسه، ص: 134.

⁴ - نصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي البوعبدلي، الجزائر في لتاريخ (العهد العثماني)، (د ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، (د ب)، (د ت)، ص: 58.

زيادة إنتاج الأراضي الزراعية والصناعية والتجارية، والتقهر الذي أصاب الجزائر بعد النصف الثاني من القرن السابع عشر ميلادي حتى الاحتلال الفرنسي 1830م الذي كان بسبب الأوبئة والطاعون وسنوات القحط التي تعرضت لها البلاد وتأخر طرق وأساليب الزراعة والصناعة التي لم تعرف كيفية تحويل الموارد الزراعية إلى الصناعة وركود التجارة التي انعكست على جميع نواحي الحياة الاقتصادية¹، لقد أصيبت الجزائر بمجاعة كبرى سنة 1800م، ما دعا الباي إلى استيراد القمح من موانئ البحر الأسود²، هذا رغم تشجيع الباي محمد الكبير لإنتاج الحبوب ليصدرها إلى الخارج³، لكن المجاعة جعلت محمد الكبير يلجأ إلى استيراد القمح في كل من إيطاليا وفرنسا وإسبانيا وأشرف بنفسه على عملية توزيعه على السكان⁴، كان لوقع الثورات والتمردات التي ذكرناها سابقا أثر سلبي على الاقتصاد وخاصة الجانب الزراعي ومثال على ذلك قيام الدرقاوي بحرق مزارع البايلك وإفساد حقوله سنة 1804م⁵.

انخفضت موارد البلاد الواردة من القطاعات الاقتصادية ما أدى إلى ارتفاع قيمة الضرائب التي كانت قد قررتها الدولة على الفلاحين اعتقادا منها أن هذا الإجراء يعوض لها ما فقدته فأصبح الفلاحون يدفعون أضعاف المبالغ، مما جعلهم يتخلون عن أراضيهم الزراعية لينسحبوا إلى الجبال فارين من جباة الضرائب⁶، كانت الصناعة تعتمد على الإنتاج الزراعي والحيواني الذي تدهور فانعكس سلبا عليها، فعندما قل الإنتاج الزراعي والحيواني فارتفعت

¹ - مؤيد محمود حمد المشهداني وسلوان رشيد رمضان، أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518م-1830م، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، م (5)، ع 16، نيسان 2013م، ص: 421.

² - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص: 122.

³ - صالح عباد، المرجع السابق، ص: 336.

⁴ - عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700م-1830م، مقارنة اجتماعية واقتصادية، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث، ج 1، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2000م-2001م، ص: 57.

⁵ - يحيى بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، دار زمورة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط خ، 2015م، ص: 68.

⁶ - أرزقي شويتم، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800م-1830م، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الجزائر، ط 1، 2011م، ص: 60.

أسعار الموارد الخام، مما جعل الصناع يعانون من صعوبة الحصول على الموارد الضرورية فاضطروا إلى دفع مبالغ ضخمة لشراء المواد القليلة المتوفرة في الأسواق وقد أدى ذلك إلى ارتفاع المصنوعات بسبب قلة الإنتاج وارتفاع أسعار خامتها هذا بالإضافة إلى الضرائب الباهضة التي كان يدفعها صناع مصنوعاتهم¹، كما كان لاجتياح الجراد وقعه السلبي على الاقتصاد حيث غزى الجراد منطقة التل عام 1816م، وأتلف الإنتاج الفلاحي، وللحد من شدة هذه الأزمة أصدر الداي قرارا يقضي بمنع تصدير الحبوب في كل من قسنطينة ووهران، ليس هذا فحسب بل استورد كميات هائلة لتموين مدينة الجزائر ولم يمنع ذلك من وقوع اضطرابات في هذه المرة أيضا اجتاحت الجفاف البلاد عامي 1826م و1827م فقلت المحاصيل، وعرفت هذه السنوات "بعام خبز الباشا"².

3- الأوضاع الاجتماعية:

كان يتركز سكان الجزائر في الأرياف فكانوا يشكلون الأغلبية إذ تتراوح نسبتهم بين 90 و95% من مجموع السكان³، بينما نجد أقلية ضئيلة في المدن إذ تتراوح نسبتهم 5% من مجموع السكان⁴، أما العدد الإجمالي للسكان في أواخر العهد العثماني، فقد أجمعت المصادر على أنه كان يقدر بحوالي ثلاثة ملايين نسمة وإن كانت بعض التقارير الفرنسية قد حددته بمليون نسمة أو مليون ونصف نسمة ولكن هذه الإحصاءات التي وردت في هذه التقارير تعوزها الدقة، وذلك لعدة أسباب منها: أن أصحاب هذه الإحصاءات اكتفوا فقط بإحصاء السكان المقيمين بالمدن دون أن يأخذوا بعين الاعتبار سكان المناطق الريفية والصحراوية وذلك لعدم وجود بيانات إحصائية حكومية يعتمدون عليها ولعل الظاهرة البارزة التي تلفت الانتباه

¹ - أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص: 63.

² - عائشة غطاس، المرجع السابق، ص: 60.

³ - أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص: 82.

⁴ - صالح عباد، المرجع السابق، ص: 41.

عند دراسة الأوضاع الاجتماعية في الجزائر هو تناقص عدد السكان ابتداء من أواخر القرن الثامن عشر ميلادي، بسبب العوامل السابقة الذكر منها المجاعات والأوبئة التي ضربت البلاد¹.

أ- المجاعات:

أصابت البلاد مجاعة عام 1804م أشرف فيها الضعفاء على الهلاك خصوصا بعض نواحي الصحراء فإنهم تشتتوا عن منازلهم وتفرقوا بسبب الهول الواقع في وطنهم من الشر والمصائب التي حلت بهم من قبل ييس الزرع وعدم الحرث، ونزول القحط والفتن إلى غير ذلك وارتفعت أسعار الحبوب بشكل كبير فبيع الصاع الواحد من البُر وقتئذ بخمسة عشرة أريالة وصاع الشعير بسبعة أريالات²، لتشهد البلاد في عام 1805م مجاعة أخرى اشتدت وطأتها على السكان في مختلف أرجاء البلاد حيث عانى منها السكان لأزيد من ثلاث سنوات متتالية وتعود أسباب المجاعة إلى عاملين أساسيين هما غزو الجراد والاضطرابات الناجمة عن ثوري بن الأحرش وعبد الله الدرقاوي بشرق البلاد و غربها³

ب- وباء الطاعون:

يعد وباء الطاعون أخطر الأوبئة التي عانت منها الدول المتوسطية والمغربية على حد سواء وكان يظهر بصفة دورية كل خمس عشرة سنة أو خمس وعشرين سنة⁴، ويعد أخطرها الذي ضرب البلاد سنة 1787م، حتى وصل عدد الأموات أحيانا خمسمائة جنازة كل يوم قيل إنه أتى من بر الترك في مركب مع رجل يدعى ابن سماية وطال الوباء بالجزائر عشر سنوات من التاريخ الذي ذكرناه⁵، كان آخر وباء أصاب مدينة الجزائر وباء سبع سنوات، 1816م-

¹ - أرزقي شويتم، المرجع السابق، ص: 83.

² - محمد صالح العنثري، مجاعات قسنطينة، (د ط)، تح، تق: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م، ص: 33-34.

³ - عائشة غطاس، المرجع السابق، ص: 58.

⁴ - نفسه، ص: 61

⁵ - أحمد شريف الزهار ، المصدر السابق، ص: 51.

1822م، حيث ظهر الداء في شهر يونيو 1816م، نتيجة وصول سفن أهداها السلطان العثماني للجزائر، وكان أول من أصيب البساكرة الذين يشتغلون في كحمالة بالميناء، وهاجرت على إثره أعداد هائلة من سكان المدينة نحو المناطق الداخلية وأسهمت تنقلات المصابين في تسريته وانتشاره في المناطق الداخلية وعانى السكان من شدة وطأته إلى عام 1822م ويعد هذا الوباء أعظم كارثة أصابت الجزائر في هذه الفترة إذ لم يقتصر على منطقة دون أخرى بل اكتسح أرجاء البلاد، كان وباء الطاعون أحد العوامل الأساسية في تراجع حركة النمو الديمغرافي¹، وقد اشتد وباء الطاعون مما أدى إلى وفاة عشرين ألف ضحية في ستة سنوات فقط كانت هذه الأوبئة تنقل إلى الجنود من طرف الحجاج والتجار والقادمين من المشرق²، وفضلا عن كارثة وباء الطاعون ظلت البلاد عرضة لأمراض أخرى من أهمها داء "الجذري" و"حمى المستنقعات" و"حمى التيفوس" وكان داء الجذري يظهر مرة كل أربعة سنوات، ففي عام 1804م أودى بحياة ثلاثة آلاف شخص وكان قاطنوا جوار المستنقعات أكثرهم تعرضا لحمى هذا المرض³.

كان ببايك الغرب أواخر العهد العثماني حوالي ستمائة ألف نسمة يشكلون 275 قبيلة منها 202 قبيلة تدار بصفة مباشرة في مساحة تقدر ب 102 ألف كم مربع وكان هذا البايك مقارنة بالأقاليم الأخرى أكثر تمدنا إذ تبلغ نسبة سكان الحواضر من 07 إلى 08 بالمائة من مجموع سكان البايك⁴، ولم يسلم هذا البايك من الأمراض والأوبئة ولم تختلف الصورة كثيرا بوهران التي عمها الطاعون 1792م، فاضطر الباي محمد الكبير إلى الفرار إلى خارجها فتوجه هو وأسرته إلى مدرسة خنق النطاح ثم تعرضت من جديد لهذا الوباء سنة 1794م

¹ - عائشة غطاس، المرجع السابق، ص: 63.

² - أرزقي شويتم، المرجع السابق، ص: 84.

³ - عائشة غطاس، المرجع السابق، ص: 66.

⁴ - توفيق دهماني، النظام الضريبي ببايك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني 1779-1830م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، الجزائر، 2003-2004، ص-ص 27-28.

الذي راح ضحيته عددا كبيرا من الناس حيث ظهر مرة أخرى في 23 مارس 1799م بسبب دخول الحجاج إلى مدينة وهران والذين نقلوا عدوى هذا الوباء من تلمسان ومعسكر وتادميت وتواصل المرض إلى سنة 1802م وانتشر في مختلف المدن والأرياف بايلك الغرب¹، ليعود هذا الوباء مرة أخرى في سنة 1817م بسبب دخول سفينة عثمانية حاملة للحجاج من مدينة الإسكندرية إلى الجزائر حاملين لعدوى الوباء فانتقل إلى باقي مدن وأرياف الولاية ودام ثلاث سنوات فخلف أضرار كبيرة كانت حدته في وهران مرتفعة فقد كانت جماعات من الأهالي تموت في الشوارع وقد وصل عدد ضحاياه 7000 ضحية وهناك بعض المصادر تشير إلى أن وباء سنة 1818م الذي أصاب وهران كان يؤدي بحياة ما بين 30 و 40 فرد في اليوم ووصل عدد ضحاياه في جوان من نفس السنة إلى 80 ضحية يوميا².

عرفت الجزائر خلال السنوات الأخيرة من الحكم العثماني فترات حرجة وصعبة، كما تخللت هذه الفترات تدهور في الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، وظهور عدة مشاكل سياسية سواء كانت داخلية أو خارجية، كل هذه المؤثرات ساعدت الفرنسيون لكي يغتنمون الفرصة للتوغل إلى الجزائر وباعتبار بايلك الغرب جزء من الأرض الجزائرية بدوره لم يسلم هو الآخر من الاستعمار الفرنسي، الذي فرض سيطرته على مختلف الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

¹ - عبد القادر بلغيث، المرجع السابق، ص-ص 121-122.

² - نفسه، ص: 123.

الفصل الأول:

السياسة الاستعمارية بالقطاع

الوهراني

المبحث الأول: الاستيطان الفرنسي وأنواعه

أدركت السلطات الفرنسية أن احتلالها للجزائر لن يكون له فائدة بدون استيطان فجلبت معمرين أوروبيين إلى الجزائر لتدعيم تواجدتها العسكري ضد أي حركة جزائرية ضد الاستعمار، كما أن هؤلاء سيشكلون مصدرا لتزويد الإدارة الفرنسية في الجزائر بالموظفين والذين سيشرفون على تصدير المواد الأولية إلى فرنسا بإيجاد مزروعات تخدم الصناعة الفرنسية، بالإضافة إلى ذلك استفاد معمرين من فرنسا سيخلصها من مجموعة كبيرة من المنحرفين¹، والاستيطان نوعان:

الاستيطان الرسمي:

دخل هذا النوع من الاستيطان حيز التنفيذ منذ عام 1871م ليفسح المجال أمام الأوروبيين لتحقيق اعمار ريفي فرنسي عن طريق التنازل المجاني للأراضي لتحقيق الجمهورية الثالثة عدة أهداف منها دعم الحكم المدني للاستيطان²، حيث استعدى في بادئ الأمر سكان الألزاس واللورين الذين كانت الحكومة الفرنسية قد وعدتهم منذ 1870 بـ 100 ألف هكتار من الأراضي الجيدة³.

كان يسمى الكولون الأوائل بـ "كولون الحكومة" لأن الحكومة الفرنسية تكفلت بهم ووفرت لهم كافة الاحتياجات التي تسمح لهم بالاستقرار وبالتالي ممارسة النشاط الزراعي ثم وضع مجموعة من الكولون الأوائل تحت إمرة رئيس مجموعة تكون لها خبرة في شؤون الزراعة، بحيث يعينه المتصرف الإداري لمدة 5 سنوات باعتبار ان الأفواج الأولى تجهل الزراعة⁴.

¹ -صالح عباد، المعمرون والسياسة الفرنسية في الجزائر 1870-1900م، (د ط)، (د د ن)، الجزائر، 1984م، ص: 7.

² - لحسن محمد، عين طارق ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، (د ط)، دار أم الكتاب للنشر والتوزيع، مستغانم، الجزائر، 2012م، ص: 54.

³ - شارل روبر أجيبون، تاريخ الجزائر المعاصرة، ط 1، تر، عيسى عصفور، منشورات عويدات، بيروت، 1982م، ص: 86.

⁴ - عدة بن داهة، الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830-1962م، ج 1، (د د ن)، ط خ، 2008م، ص: 41.

اعتمد الاستيطان الرسمي على بناء القرى والمراكز الاستيطانية واستخلاص الأراضي من طرف العسكريين ليتم فيها بعد تهجير المستوطنين من أوروبا إلى الجزائر بشكل مكثف. عمل كل من العقيد دي لامورسيار (lamorcière) ويبدو إلى إنشاء المراكز الاستيطانية الكبرى حيث فكر لامورسيار في أن يطبق مشروعه في إقليم وهران داخل المثلث المحصور بين وهران ومستغانم ومعسكر وذلك بتوطين 5 آلاف عائلة فلاحية توزع على 22 قرية فوق مساحة تقدر بـ 80 ألف هكتار، كان يجب على الرأسمالية أن يتحملوا كل النفقات باستثناء الطرقات والحصون¹، كما وكلت إليهم مهام مثل نزع الأراضي الزراعية أو مقايضتها أو شرائها بأثمان زهيدة أو طردهم منها خاصة وأن الكثافة السكانية تقل بهذا المثلث، وهران مستغانم، معسكر².

كان للكولون الأحرار أعين ثاقبة في اختيار الأراضي من حيث الخصوبة ووفرة المياه بها، حيث نجد في بلدية معسكر 117 مزرعة للكولون الأحرار تقدر مساحتها بـ 27862 هكتار ويفهم من اكتفاء الكولون الأحرار بزراعتهم لجزء من المساحة و إهمالهم لباقي أراضي معسكر بأن أراضيها كانت تتميز بالخصوبة وارتفاع مردودها، ومعنى هذا أن الكولون الأحرار قد أحسنوا الاختيار باستقرارهم في سهل معسكر وهضابها³.

إن أول الوافدين في إطار الاستيطان الرسمي مجموعة تتكون من 40 مهاجر من ألمانيا وسويسرا 1832م، تم تقسيمهم إلى مجموعتين، الأولى تتكون من 50 أسرة استقرت في دالي إبراهيم، على مساحة 227 هـ، أما المجموعة الثانية فتألفت من 25 أسرة استقرت في منطقة القبة، على مساحة 93 هـ، كما كانت هناك أسر اشترت مساحات كبيرة بطرق ملتوية، وذلك

¹ - عدة بن داهة، المرجع السابق ج1، ص: 44-45.

² - نفسه، ص: 82-83.

³ - علي عبود، الاستيطان والصراع حول ملكية الأراضي، 1830-1899م، (القطاع الوهراني نموذج)، رسالة لنيل شهادة الماجستير، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2013-2014م، ص: 48.

باستغلالها فترة الفوضى التي سادت الأربع سنوات الأولى من الاحتلال، لقد وصف شارل روبير آجيرون هذه المرحلة بفترة الفوضى لانعدام الاستقرار وعدم وجود جهاز مستقر، بالإضافة الى حالة من انعدام الانضباط نتيجة الصراعات بين القادة العسكريين أنفسهم ومن جهة اخرى ظهور المقاومات المستمرة خاصة مقاومة الأمير عبد القادر¹، ومن هنا كان المستوطنون يحتلون مكانة هامة في سياسات بلادهم، حتى أن الحكومات الفرنسية كانت جميعا تقف إلى جانب المستوطنين في الجزائر².

الاستيطان الحر:

لولا الاستيطان الرسمي لما استولى الأوروبيين على أراضي الجزائريين أما الاستيطان الحر فقد كان يمارسه مستوطنون أحرار فكان مكملًا للاستيطان الرسمي، بحيث لم يحقق الاستيطان الحر النتائج المرجودة في بداية الأمر لكنه شيئًا فشيئًا تحول إلى أداة مهمة في غزو اقتصاد الجزائر.

سجل الاستيطان الحر في قسم معسكر العسكري عندما أنشئ أحد الكولون ملكية زراعية حرة على مستوى غرب البلاد في بوحنيقية سميت بصيغة الحصن (la ferme du blockhaus) وفي إطار الاستيطان الحر تمكن الكولون الأحرار من إقامة 126 ضيعة فيما بين سنتي 1895-1905م بحيث تجاوزت الملكية الواحدة لبعض الكولون الأحرار حوالي 500 هكتار وأحيانا 1000 هكتار، كما بذل المستوطنون الأحرار جهود كبيرة من اجل استصلاح الأراضي وضخ المياه لأنهم كانوا يدركون أهمية المياه في استقرار الإنسان،³ كما

¹ - علي عبود، المرجع السابق، ص: 47-48.

² - عبد المالك خلف التميمي، الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، نوفمبر، 1983م، ص: 34.

³ - عدة بن داهة المرجع السابق، ص: 74-75.

تمكن 30 أوروبا من إنشاء 4 ضيعات تخضع لها 127000 هكتار في السانية 120 أوروبا في بوتليس تتألف من 190000 هكتار خلال فترة 1895-1908م¹

القوانين والمراسيم التي تدعم الاستيطان:

مشروع وارني (August warnier) 1873/07/26م:

يعتبر وارني (warnier)* هو الزعيم والمفكر لمخططات المستوطنين الأوروبيين بالجزائر² الذي يعتبر المفكر الرسمي باسمهم في عهد نابليون الثالث رغم انه طبيب عسكري فقد ناضل لتحقيق برامج المستوطنين، وذلك من خلال تقلده لمنصب مدير الشؤون المدنية لمقاطعة وهران في الجمهورية الثانية، كما اشتغل كمستشار للحكومة الفرنسية بالجزائر ليتحول بعد ذلك إلى مستوطن يشتغل بالصحافة وقد اشتهرت هذه الشخصية بالفكرة الأساسية التي قام عليها الاستيطان وهي " نظرية الإدماج التدريجي للجزائريين " وحسب هذه النظرية انه لا يمكن قبول مجتمع همجي في مجتمع أوروبي وعليه يجب دمج الجزائريين في المجتمع الأوروبي³.

كما تعتبر هذه الشخصية واحدة من المبشرين الأربعة بالأنجيل الأرثوذكسية حيث كان دائما يدعو إلى إلحاق الجزائر بفرنسا عوض الدعوة إلى دمجها⁴ كما حاول وارني مع العشرات من الدعاة بالتذكير بالحقوق المقدسة التي يجب أن تمنح المستوطنين كما وضح أنه من حق المستوطنين ان يطلبوا بمكانة مرموقة وممتازة بحيث استخدم أساليب ماهرة لتمرير أفكاره حيث شرع في توضيح أفكاره بدعوة النظام المدني هو الوحيد الذي يخلص الأهالي من القمع والتسلط.

¹ - عدة بن داهة، المرجع السابق، ص: 77.

² - بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية لغاية الاستقلال، ط2، دار الغرب الاسلامي، الجزائر، ص: 152.

³ - نفسه، ص 153.

⁴ - شارل روبير اجيرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919م، ج1، تر، حاج مسعود دوبكلي، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007، ص: 80-81.

وفي سنة 1868م قرر واري ان يوضح للراي العام الفرنسي، حيث الف فيه دوفال ما يسمى ببرنامج السياسة الجزائرية، لقد تم تقديم البرنامج من طرف مجموعة جول فافر (Jules Favre) يشتمل على 12 مادة أثناء المناقشة ميزانية 1869م من طرف الهيئة التشريعية لكنه رُفض، فاقترح واري باسم نظريته في الإدماج التدريجي حلولاً عاجلة لجميع ما يتعلق بالقانون المادي.¹

من الواضح أن واري كان يسعى دائماً للحصول على المزيد من الأراضي للاستيطان وهو مايسميه "استرجاع المجال الاستيطاني"، كان يصر دائماً في التأكيد على إرادة الجزائريين في وضع حد نهائي للحكم العسكري والمكاتب العربية، كما لقبه لافيحري "المستوطن للجزائر"² كان المشرع الفرنسي واري يحاول الحصول على الأراضي العرش التي لاتزال تمثل صلاصة القبيلة الجزائرية ووحدها، وعرضها في السوق العقارية الفرنسية من أجل جلب رؤوس الاموال والشركات الكبرى وتشجيع هجرة الأوروبيين³

إن قانون واري مبني على نظرية التطور التاريخي لعقار في الجزائر بحيث قدم مشرعين أول 20 جانفي 1872م والثاني 27 ماس 1872م وتم المزج بين مشروعين بعد مناقشات برلمانية، فتّمت الموافقة على مشروع القانون وهو الذي كان يهدف عموماً إلى فتح المجال أمام الاستيطان ونشاط رؤوس الأموال الأوروبية.⁴

أهداف مشروع واري (Warnier):

- تحكيم القانون الفرنسي وجعله سيد الموقف في كل عمليات الانتقال أو نزع الملكية.
- فتح قرار 26 جويلية 1873م لأراضي العرش المتبقية أمام المستوطنين.

¹ - شارل رويبر اجيرون، المرجع السابق، ص: 82-83.

² - نفسه، ص: 84.

³ - بليل محمد، تشريعات الاستعمار الفرنسي في الجزائر وانعكاساته على الجزائريين 1981-1914م، دار إسحاق الدين لكتاب وزراه المجاهدين الجزائري، ص: 62.

⁴ - نفسه، ص: 60-61.

- تشجيع الجزائريين بحق امتلاك الأرض، وكل شخص خاضع للشيوع له الحق في البيع .
- إبعاد القاضي المسلم من كل عمليات العقارات والمنقولات والنزاعات.
- فرنسة العقار الجزائري وإخضاعه إلى التشريعات الاستعمارية الفرنسية.

تطبيقات قانون واري بالقطاع الوهراني في بعض المناطق:

✓قرار 21-01-1880م: باقتراح من والي وهران بتطبيق القانون بدوار بلدية "سوق التل"

أحد بطون قبيلة زاير بالبلدية المحتلة عين تيموشنت، دائرة وهران وكذلك دوار خلفه.

✓قرار 25 جويلية 1881م: " لبارقريفي " بتقديم عقود الملكية الفردية لسكان دوار بلدية "

بني يحي " بعمالة وهران وكذلك دوار " قريوسة " بضرورة تطبيق القرار وارسال لجان التحقيق.

✓قرار 03 جويلية 1882م: بدوار بلدية " القصر " قبيلة " أولاد علي " بالبلدية المختلطة

سانت لويس دائرة وهران¹.

منذ غزو الجزائر لم ينتظر الفرنسيون نتائج حملتهم لتقرير مصير أملاك الجزائريين بل أخذوا يتصرفون فيها كما لو كانت ملكا لهم وطبقا لقوانين وذلك من خلال العديد من التشريعات ورغم النص الصريح في اتفاق الداوي حسين باشا و ديورمون (Debourmont) على احترام الأملاك الخاصة حتى أن كلوزيل (Clauzel) أجاب حمدان خوجة عندما احتج له بأن الاتفاق لم يكن سوى لعبة حرب².

وطبقت فرنسا كل هذه التشريعات والقوانين من أجل تفجير الجزائريين وإجبارهم على الهجرة وهذا لحصول الأوروبيين على أملاكهم بقصد الاستيطان³.

¹ - بليل محمد، المرجع السابق، 60-61.

² - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900م، ج1، دار الغرب الإسلامي، ط 1، لبنان 1992م، ص: 72.

³ - بليل محمد، تشريعات الاستعمار الفرنسي في الجزائر وانعكاساته على سكان المنطقة 1863-1900م، دار الثقافة، تيسمسيلت، ع 2013، ص: 26.

ومن أهم هذه المراسيم والقوانين:

1. مرسوم 11-07-1858م: صادرت فرنسا الأراضي الفلاحية التي يملكها 160 فلاحا جزائريا لتوسيع دائرة الاستيطان، وكذلك مرسوم 16/08/1859م الذي ينص على منح القسيس أبرام (Abram) أرضا تقدر بـ 54 هكتار حيث تتكفل الدولة بتهيئتها وجلب المياه إليها وإلزام القسيس باستغلالها لمدة 20 سنة على الأقل¹.
2. القانون 16-06-1851م الملكية حق مضمون للجميع دون تمييز بين الملاك الأهالي والملاك الفرنسيين وغيرهم، وقد حضرت له لجنة ترأسها الجنرال لامورسيار أحد مؤيدي فكرة ترحيل الجزائريين وحشدتهم في جهات معينة، حيث ضمّ الأراضي الغاية إلى أملاك الدولة، فإن 200 هكتار من الأراضي الغاية و60 ألف هكتار من الأراضي القبائل تابعة للدولة².
3. المرسوم الصادر يوم 4 أكتوبر 1870م والمتعلق بمنح 6 مقاعد في البرلمان الفرنسي بدلا من 4 فقط عام 1848م وبالتالي تقوية التمثيل السياسي.
4. المرسوم الصادر بتاريخ 10 نوفمبر 1870م الذي يسمح للمعمرين الأوروبيين أن يعينوا الولاة في المناطق التي تخضع للحكم العسكري.
5. المرسوم الصادر يوم 24 ديسمبر 1870م الذي يسمح للمستوطنين الأوروبيين أن يوسعوا نفوذهم إلى المناطق التي يسكنها المسلمون الجزائريون والتي تديرها شخصيات جزائرية معينة من طرف فرنسا.
- المرسوم الصادر بتاريخ 24 أكتوبر 1870م والمعروف بمرسوم كريمو هو الذي سمح فيه لليهود أن يحصلوا على الجنسية الفرنسية والتمتع بجميع الامتيازات التي يحوّلها القانون للرعايا الفرنسيين دون أن يتخلّى هؤلاء عن عقيدتهم أو حقوقهم المدنية³.

¹ - عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، د ط، دار الأمة، الجزائر، ج5، 2005م، ص: 49.

² - عدة بن داهية، الخلفيات الحقيقة للتشريعات العقارية في الجزائر في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي 1830-1962م، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر 2007م، 136.

³ - عمار بوحوش، المرجع السابق، ص: 156-157.

بناء المراكز الاستيطانية:

المركز الاستيطاني دوبلينو dublineau (معسكر):

في عام 1843م بنى العسكريين الفرنسيين جسرا يعلو وادي الحمام بموقع حسين hacine حاليا وابتداء من عام 1844م تحولت قرية وادي الحمام إلى معسكر فرنسي دائم بعد أن أنشئ بها حصن منيع لحراسة الجسر، ليكون مركزا لعبور المستوطنين الفرنسيين ومحطة لتموين أما أول محطة زراعية في واد الحمام فقد أنشأها المستوطن الفرنسي ديلونكا (Dilonca) عام 1846م، وفي سنة 1850م استقر مستوطن آخر يدعى وايس weiss لينني فندقا، ثم جاء معمر آخر يسمى مايير (mayer) لينني فندقا ثاني يسميه نزل الهبرة. وقع نابليون الثالث في 11 ماي 1851م على عقد رسمي لإنشاء المركز في منطقة جسر وادي الحمام على بعد 20 كلم غربي مدينة معسكر لاستقبال 54 عائلة أوروبية تستفيد من 700 هكتار¹.

بلغ عدد الاوربيين أواخر عام 1853م في واد الحمام 14 مستوطنا (7رجال، 04 نساء 03) أطفال وفي نفس السنة تمكن المستوطنان مايير (mayer) وتوفال (Teuffal) من زرع 24 هكتار قمح وشعير وفي سنة 1854م نزل بوادي الحمام 164 مهاجرا من إقليم ريتاريا الألماني يتألفون من 24 عائلة، ثم تشغيلهم في الطريق الرابط بين وهران ومعسكر حيث منحت للكلون الجدد 146 قطعة أرضية زراعية و 70 قطعة للبناء².

المركز الاستيطاني بالونشريس:

تم غزو المنطقة بعد مقاومة قبائل الونشريس التي ساندت عبد القادر فصادرت أراضيها وفرضت عليها قوانين الملكية العقارية وكان الهدف منها طرد سكان القبائل وإنشاء القرى

¹ - عدة بن داهة، الاستيطان، ج1، المرجع السابق، ص: 59-60.

² - نفسه، ص: 61.

للمعمرين كفيالار وغيرها بمنطقة تيسمسيلت وقامت الإدارة الفرنسية بشق الطرق واستصلاح الأراضي. وفي تقرير خاص تسريع عملية الاستيطان بفيالار بدائرة مليانة يطالب السلطات المحلية لبلدية ثنية الحد بتوفير المزيد من العقارات لإتمام انجاز هذه القرية موافقة قائد المنطقة على ذلك ويشرح تقرير آخر بأن المساحة الإجمالية لقرية فيالار قدرت بـ 292 هكتار و 48 آر مجزئة¹. هذا وقد أصبح المعمرون لا ينتظرون رخص البناء من قبل المهندسين حيث ضببت التقارير الاستعمارية العائلات المستقرة بفيالار توفير الشروط اللازمة لمزاولة أنشطتهم الفلاحية على حساب أراضي الجزائريين².

لم تسلم منطقة تيسمسيلت من قسوة السياسة الاستعمارية الفرنسية، في مجال العقاري فقد قامت بفرض إجراءات المصادرة وطرده سكان قبيلة بني مايدة من أراضيها من أجل بناء المركز الاستيطاني بفيالار، فقد اتخذت فرنسا من تيسمسيلت قاعدة عسكرية لتوسع بالونشريس بالشرق الجنوبي³.

¹ - عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق ص: 51.

² - محمد بليل، التشريعات، المرجع السابق، ص: 04.

³ - نفسه، ص: 09.

جدول بين تطور عدد المستوطنات في عمالة وهران

الرقم	المنطقة	عدد المستوطنات	السنوات
01	سيدي لعباس (الضاحية)	8204 مستوطنة	1849م
02	عين الترك	2624 مستوطنة	1850م
03	بوسفر	3908 مستوطنة	1850م
04	ساند أندري معسكر	3549 مستوطنة	1850م
05	سان هيبوليت	555 مستوطنة	1850م
06	صفصاف	1283 مستوطنة	1850م
07	منصورة (تلمسان)	2966 مستوطنة	1850م
08	حناية (تلمسان)	2722 مستوطنة	1851م
09	بون دي شليف	1295 مستوطنة	1851م
10	عين سيدي الشريف	1159 مستوطنة	1851م
11	واد الحمام	700 مستوطنة	1851م
12	نيجيري مستوطنة زراعية	2568 مستوطنة	1849م
13	بارية مستوطنة زراعية	2332 مستوطنة	1849م

المصدر: عدة بن داهة، الاستيطان، ج1، المرجع السابق ص 124.

المبحث الثاني: مصادرة أراضي الجزائريين

كانت المصادرات الأولى للأراضي الجزائرية والتي كسبت أشكالا مختلفة كان هدفها أساسيا شرعت فرنسا في تطبيقه منذ البداية.

قبل أن تثبت على فكرة الاستقرار النهائي في الجزائر عمدت السلطات الاحتلال الفرنسي إلى دراسة طبيعة الجزائر والتعرف على ظروفها الاقتصادية والاجتماعية ، حيث أن الاستيطان شكل المرحلة الثانية من الحملة الفرنسية فقد حكّمته المصالح السياسية والوطنية الفرنسية، اعتبرت فرنسا نفسها لا تخوض حربا ضد الإنسان الجزائري فحسب وإنما حربا ضد أرض بائرة وموحشة، ولكي تحقق النصر في هذه الحرب عليها أن تُعدّ رؤوس الأموال وتجنيد الرجال¹.

كانت المسألة الاستيلاء على الأراضي الزراعية جزء من مخططات السلطات الاستعمارية الهادفة إلى توطين الفرنسيين والأوروبيين وعليه كان لابد أن توفر المساحات والأراضي لاستيعاب المهاجرين وأن فرنسا لم تتردد في شن الحروب من أجل سلب الأراضي والاستيلاء عليها²، ولعل أبرز ما يثبت نية فرنسا القاطعة في احتلال الجزائر واستيطانها هو صدور مرسوم 2 جويلية 1834م الذي بنص على محافظة فرنسا على الجزائر بناء على توصية اللجنة الإفريقية ومما احتواه المرسوم هو تعيين حاكم على الجزائر وهو الجنرال الكونت ديرلون (Dérion)³.

كانت الطبيعة العقارية للأراضي المسلمة (أرض عرش، حبس، ملك) واستعملت السلطات الاستعمارية إحدى الطريقتين لمصادرة هذه الأراضي إما استعمال القوة أو استعمال قوانين عقارية جديدة، فانطلاقا من سنة 1830م ربطت ممتلكات الباليك والأوقاف بالملك العقاري التي استعهاها لصالح الاستعمار الاستيطاني في أوامر 1844-1846م أقرن تحويل

¹ - عدة بن داهة، الاستيطان، ج1، المرجع السابق، ص: 106.

² - نفسه، ص: 109.

³ - أبو القاسم سعد الله، ج 1، المرجع السابق، ص: 56.

أراضي املاك الحبس حيث في ناحية وهران، وجه نداء للرأسماليين ليوطنوا عائلاتهم في 14 بلدية في القطاع الوهراني¹.

في سنة 1839م تم حجز أراضي القبائل التي حاربت مع الأمير عبد القادر وأراضي الجزائريين الذين غادروا ممتلكاتهم ليلتحقوا بالمقاومة، وبدأ الاستعمار الاستيطاني ينمو ابتداء من 1841م حي أعطت الدولة بدون شروط أراضي مقطّعة هكذا أحدث العديد من القرى منها 5 قرى في منطقة وهران وتزايد عدد الأوروبيين ومن 28.736 نسمة سنة 1840م إلى 102.400 نسمة أي في سنة 1846م.

عندما سقطت الجمهورية الثانية الفرنسية فاحتلها الإمبراطورية الثانية بزعامة نابليون الثالث أوائل 1852م فاستعاد العسكريون نفوذهم في الجزائر بزعامة راندون (Randon) الذي شجّع حركة الاستيطان الأوروبي كما انتهج منهج بيجو (Begeaud) في أسلوب مصادرة أملاك الأهالي وتفتيت الأعراس²، حيث تحصل على 61363 هكتار مابين عامي 1851-1861م كما فقد الأهالي في عهد هذه الإمبراطورية الآلاف من الهكتارات بواسطة الانتزاع القهري والمصادرة والحيل القانونية المشبوهة³، كما لم يعرف الفلاحين الراحة تحت ظل الإمبراطورية الثانية إذ فقد المزارعون 365000 هكتار⁴، فالنسبة لمركز عمي موسى وحده خمسة قبائل تمت مصادرة أراضيها، أحسن أراضي، أولاد عباس، أولاد موجار، أولاد بوانكي، توارس، منكورة وعُزل أصحابها في أراضي ضيقة وفقيرة⁵

¹- محفوظ قداش، جزائر الجزائريين 1830-1954، ط خ، المؤسسة الوطنية للنشر والارشاد والتوزيع، الجزائر، 2008، ص: 151-152.

²- نفسه، ص: 153.

³- يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والسياسة الاستعمارية والحركة الوطنية، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص: 15.

⁴- جيلالي صاري، تجريد الفلاحين من أراضيهم 1830-1962، تر: قندوز عباد فوزية، ط خ، منشورات الديوان الوطني للدراسات والباحث، 2010م، ص: 27.

⁵- نفسه، ص: 29.

في أربعون سنة (1830-1870م) تمثلت بالنسبة للفلاحين بخسارة مليون هكتار من الأراضي والتي تقع معظمها بالسهول والمزرعات¹.

إن الحرب التي شنها بيجو على الجزائريين كان لها آثار سلبية عليها ومن بين تلك الآثار لاستيلاء على المحاصيل الزراعية وحرثها والأكثر من ذلك مصادرة معظم الأراضي وذلك باسم الثورة على السلطة العدو وتم توزيعها على المعمرين للاستيطان²، كانت السياسية تتركز أصلا على التعمير والمعمرين وجعلهم قاعدة الاحتلال³، كانت فرنسا تعتقد أن الأراضي الوهرانية غير صالحة للاستقرار الأوروبيين وقامت بإنشاء سوى ثلاث مراكز وهي: مركز السانية والتي كانت فيها البقول سنة 1841م، ومركز مسرغين التي كانت غنية بأشجار البرتقال 1844م، ومركز بسدي الشحمي والتي كانت تتوفر على أرض خصبة 1845م⁴.

كان الاحتلال الفرنسي يسعى دائما على تحقيق قاعدة اغتصاب الأراضي، بحيث صدرت سلسلة من المراسيم تنص على مصادرة وحجز الأراضي وكان أولها مرسوم 24 مارس 1843م والذي تقرر من خلاله الاستيلاء على الأراضي والحبوس وأملاك الباليك التي سبق قرار 1830/12/07م الذي أصدره القائد الأعلى للقوات الاحتلال بإلحاقها بأملاك العامة (الدومين)، كما قامت سلطات الاستعمار بحجز ممتلكات الجزائريين الفارين المهاجرين⁵ وأصدر مرسوم 16 جوان 1851م من طرف الحاكم العام للجزائر يعلن فيه أن الدولة لها الحق في استثمار كامل ممتلكات الغابية في الجزائر⁶.

كانت إدارة الاحتلال تعمل دائما على مصادرة أراضي فلاحيه وتمنحها للوافدين الجدد الذين أنشئت المستوطنات ووسعت لأجلهم، ومن الأمثلة على ذلك انتزاع 1150 هكتار من

¹ - جيلالي صاري، المرجع السابق، ص: 58.

² - ابو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص: 240-241.

³ - فرحات عباس، ليل الاستعمار، تر، وزارة الثقافة، (د ط)، الجزائر، 2005، ص: 68.

⁴ - شارل اندري جوليان، تاريخ الجزائر المعاصرة، م1، (ط خ)، دار الامة، ص: 419.

⁵ - عدة بن داهية، الاستيطان، المرجع السابق، ج1، ص: 112.

⁶ - نفسه، ص: 444-445.

أيادي فلاح جزائري بقرية عين فارس بدائرة معسكر من بينها أراضي لا تتعدى مساحتها الهكتار الواحد، من الفلاحين الذين تصدروا قائمة الذين صودرت أراضيهم نذكر منهم: قادة ولد إبراهيم، إسماعيل علي ولد المختار، علي ولد سي قدور، بحيث أسرفت إدارة الاحتلال في مصادرة الأراضي من الفلاحين الجزائريين، ففي 18 سبتمبر 1894م صدر قرار ينص على مصادرة 234.000 هكتار من 117 فلاح جزائري من بلديتي حجاجة والبرج بدائرة معسكر¹.

خلال العهد الإمبراطوري الثاني (1852-1870م) حضي الاستيطان الرسمي والحر بدعم راندون (Randon) (1852-1858م) حاكم الجزائر حيث مكّن الكولون من الحصول على الأراضي الضرورية لإنشاء مستعمراتهم الزراعية، فاقتطعت السلطات الاستعمارية لهم 2652 هكتار²، وبذلك ارتفع عدد المستوطنين الاوربيين في الارياف الجزائرية من 119 ألف شخص عام 1871م الى 200 ألف شخص كانوا من مختلف الجنسيات الاوربية.³ في عهد نابليون الثالث* (1825-1870م) خسر الفلاحين الجزائريين 500.000 هكتار من أراضيهم لصالح الكولون، كما تمكن الرأسماليين من الحصول على ممتلكات واسعة في سهل متيجة عنابة ووهران⁴، كما جرى تحقيقا رسميا يوضح أن المسلمين فقدوا في مدة ثمانية عشر عاما سنة (1880-1898م) حوالي 386886 هكتار وبحلول 30 جوان 1899 كان قد تم تجريد أربعة ملايين هكتار من الفلاحين الجزائريين⁵.

¹ -عدة بن داهة، الاستيطان، المرجع السابق، ص: 445-446.

² - نفسه، ص: 115.

³ - يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص: 33.

⁴ -عدة بن داهة، الاستيطان، المرجع السابق: 118.

* نابليون الثالث: 1807-1873م: هو أول رئيس للجمهورية الفرنسية 1848م وثالث إمبراطور فرنسي 1852-1870م شهدت فترة حكمه مشاركة فرنسا في حرب القرم 1854-1856م، أنظر عدة بن داهة، الاستيطان... ج2، ص: 504.

⁵ -شارل ريبير أجيبرون، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871م حتى اندلاع حرب التحرير، م2، تر: محمد حمداوي وإبراهيم صحراوي، شركة دار الأمة 2013 م، الجزائر، ص: 322.

كما لجأ الجزائريين إلى بيع أراضيهم كي لا تغتصب منهم حيث باع المسلمون من 1900-1919م ما قدره 734400 هكتار للأوروبيين واشتروا منهم حوالي 265441 هكتار أي أنهم تخلوا عن ملكية 468999 هكتار، ولا نجد إلا تفسيراً واحداً لهذه البيوع التي تمت سوى لإفقار الفلاحين الجزائريين، كان هؤلاء الفلاحين يبيعون أراضيهم بأثمان بخسة تتراوح ما بين 25-30 فرنكا للهكتار خصوصاً في سنوات 1898م-1905م-1908م¹.

أهم قوانين المراسيم التي نصت على مصادرة الأراضي:

القرار المشيخي (Senatus Consulte*) 22 أبريل 1863م:

نص قرار مجلس الشيوخ على إجراءات من شأنها تسهيل ترقية الزراعات لدى الأهالي بالحصول على الملكية الفردية التي لا يمكن لأحد أن يشك في منافعها الكبرى، وكان القرار يتضمن ثلاث عمليات:

1- تحديد أقاليم القبائل.

2 - توزيع الأراضي.

3 - الإقامة الفردية بين أعضاء الدواوير.

جسد قرار مجلس الشيوخ الصادر في 22 أبريل 1863م قناعات الإمبراطور² بذلك انتقلت مساحات كبيرة وشاسعة من الأراضي الجزائرية لإدارة الاحتلال المغتصب والمعمرين بلغت ستة ملايين هكتار سنة 1866م.

عملت سلطات الاحتلال على فرز أراضي الملك من أراضي العرش وكان الهدف من هذه العملية هو إنشاء الملكية الفردية والتي تعتبر هذه القاعدة هي النقطة الجوهرية لقرار المشيخي

¹ - شارل روبر أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، المرجع السابق، ص: 324.

*- سيناتوس كونسيلت 1863: اسم مشتق من لفظ سينات وهو مصطلح يطلق على مجلس الشيوخ و الذي يقوم بدور البرلمان في سن القوانين و المصادقة عليها ولقد كان لهذا القانون اثره في تهدم لبنية الاجتماعية للجزائريين، انظر: عمور سامية ومبارك عمارية، الاستعمار الاستيطاني الفرنسي في الغرب الجزائري (1830-1870)، مذكرة لنيل شهادة الماستر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة تيارت، 2014-2015م، ص: 19.

² - شارل روبر أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، المرجع السابق، ص: 695-696.

1863م لأن إنشاء الملكية الفردية تحدّ وتقضي على الملكية الجماعية أو ملكية القبائل الغير قابلة للتقسيم وذلك من أجل إجبار الجزائريين على بيع أراضيهم وتفكيك القبيلة، وقد طُبق هذا القرار على بعض القبائل في الجهة الغربية من الجزائر، مستغنام، وهران معسكر¹، بإقرار الملكية الفردية للجزائريين، وعن طريق هذا القانون سيقع الفلاحون الجزائريون فريسة للمضاربين وذلك بعد أن حصلوا على سندات ملكية من قبل إدارة المصالح العقارية، فباعوا أراضيهم ليجدوا أنفسهم مبعدين².

ويتضمن قرار سيناتوس كونسيلت 7 مواد أهمها المادة الأولى والثانية:
1- يعلن ان القبائل الجزائرية مالكة للأراضي التي تتمتع بها بصفة دائمة وتقليدية، حيث كانت صفة التمتع فكانت كل العقود وتوزيع الأراضي التي حصلت بين والدولة والاهالي بالنسبة لملكية الأراضي تبقى على تلك الصفة.

2- وفيها: أ/ تحديد مناطق القبائل، ب/ توزيع الاراضي على مختلف الدواوير.

كما تعلق قرار مجلس الشيوخ ب 6883811 هكتار موزعة كالتالي:

- أرض الملك: 2840591 هكتار، أرض العرش: 1523013، أرض المجالات البلدية: 1336492 هكتار، ملك الدولة: 1003072 هكتار، ملك العام: 180643 هكتار.

- لقد مس هذا القرار 373 قبيلة، حيث تم تكوين 667 دؤارا يضم 2129052 جزائري وهكذا نجحت سلطات الاستعمار في سرقة 2520207 هكتار يعني 36% من أراضيهم³.

أهم المرسوم:

✓ قرار 14 فيفري 1846م: الذي نص على مصادرة الأراضي المحيطة بتلمسان.

¹ - محمد بليل ، تشريعات، المرجع السابق، ص: 71.

² - عدة بن داهة، الاستيطان... ج1، المرجع السابق، 362.

³ - محفوظ قداش، المرجع السابق، ص: 165.

✓ قرار 18 أبريل 1846م: الذي مس أراضي القبائل التي هجر أصحابها إلى المغرب والصحراء.

✓ قرار 19 أوت 1853م: الذي نص على حجز أراضي الجزائريين المهاجرين في دوائر وهران سبدو تلمسان، لالة مغنية، الغزوات.

✓ قرار 19 أبريل 1854م: القاضي بحجز ممتلكات المتغيّبين في كل من تموشنت ومعسكر.

✓ قرار 12 مارس 1855م: القاضي بحجز ممتلكات المهاجرين من دائرة سعيدة.

✓ قرار 12 مارس 1855م: القاضي بحجز أراضي الحساسنة.

✓ قرار 15 جوان 1855: المطبق على الملكيات العامة والخاصة لقبيلة أولاد ميمون¹.

جدول يوضح: بناء العديد من المراكز الاستيطانية من أجل امتصاص المهاجرين الأوروبيين.

01	التجمع السكاني لوربعة	1853-04-23	استقبال 11 عائلة أوروبية استفادت من 512 هكتار.
02	عين كسال وهران	1855-12-22	استقبال 68 عائلة أوروبية استفادت من 3133 هكتار.
03	العامرية	1857-01-15	استقبال 70 عائلة أوروبية استفادت من 3684 هكتار.
04	غليليزان	1858-01-24	إنشاء مركز استيطاني ضمن مساحة تقدر بـ 4000 هكتار.
05	تنيرة	1858-01-25	استقبال 40 عائلة أوروبية تستفيد من 2785 هكتار.
06	بني شقران	1858-05-12	استقبال 60 عائلة أوروبية تستفيد من 2100 هكتار.

المصدر: عدة بن داهة، الاستيطان، ج1، المرجع السابق، 437-438.

¹ -عدة بن داهة، الخلفيات الحقيقية، المرجع السابق، ص: 138 .

المبحث الثالث: المكاتب العربية ودورها في الاستيطان.

المكاتب العربية:

تعرف المكاتب العربية بأنها المؤسسة التي تمثل موضوعها في ضمان التهدئة في القبائل بصفة دائمة وذلك بإدارة عامة منتظمة، وكذلك تهيئة السبل بالاستيطان الفرنسي وذلك عن طريق توفير الأمن العام وحماية كل المصالح الشرعية وزيادة الرخاء لدى الأهالي، وهذا التعريف يعود للضابط الفرنسي دوماس (Eugène Dumas)*، كما أن هذه المؤسسة تميل أكثر للحلول السلمية لحل كل المشاكل التي كانت تتطلب استعمال القوة ضد الأهالي كما أن المكاتب العربية تعمل على التغلب على العراقيل التي تواجههم مثل اختلاف المجتمع الجزائري عن المجتمع الفرنسي في العادات والتقاليد والدين بالإضافة إلى كما أن هؤلاء الموظفون يقومون بدراسة البلاد من أجل الاستعداد لمواجهة أي انتفاضة أو رد فعل من الأهالي¹، لأجل ذلك نشأت إدارة المكاتب العربية بمقتضى مرسوم وزاري مؤرخ في الفاتح من فيفري 1844م².

وجدت الإدارة الفرنسية نفسها أمام مشكل كبير خاصة بعد القضاء على الإدارة التركية، كما تم استحداث منصب آغا العرب، كما تم تعيين حمدان خوجة في هذا المنصب بموجب قرار 10 مارس 1831م، وخلال فترة حكم بارتيزان (Berthizen) الذي أصدره

* دوماس: ولد في 1803م بسويسرا حيث درس الطب، بحيث أجبره والده بالالتحاق بالفرقة الثانية للقناصين، عين ضابط صف في 1827م والتحق بسان لويس 1829م، وص:ل للجزائر 1835م، تحت إشراف كلوزيل اختير ممثلاً دبلوماسياً لفرنسا لدى الأمير عبد القادر 1837-1839م، واستدعى من قبل لامورسيار لتولي شؤون إدارة مقاطعة وهران. أنظر: حباش فاطمة، المكاتب العربية في المد الاستعماري الغرب الجزائري، 1844-1870م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2013-2014م، ص: 55.

¹ - عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق من تاريخ الجزائر الحديث، د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص: 177.

² - صالح فركوس، تاريخ الجزائر، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال، د ط، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص: 248.

القائد العسكري أفيارى (Aviary) تم إنشاء المكتب العربي للتواصل مع الأهالي يديره النقيب لامورسيار (lamorcière)¹.

في فترة حكم الكونت دارلون* (Dérion) (1833-1835) ألغى المكتب العربي وأعاد منصب آغا العرب وبدوره ألغى دامريون (Damrimon) منصب آغا العرب وأعاد المكتب العربي وهذه المرة تحت مسمى مديرية المكاتب العربية ترأسها النقيب بيلسيه، وفي سنة 1839م فترة حكم الجنرال فالي (Valée) أخذت اسم مديرية المصالح العربية حتى صدور القرار الوزاري الصادر 01 فيفري 1844م الذي ينشئ رسميا المكاتب العربية وينظم مهامها.

كانت المكاتب العربية مقسمة إلى قسمين وهو ما حددته المادتان الأولى والثانية من قانون إنشاء المكاتب العربية، إذ يوجد المكاتب العربية من الدرجة الأولى وما يسمى إداريا la subdivision، ومكتب عربي من الدرجة الثانية في كل دائرة عسكرية تحت وصاية الجيش أما تلك في المناطق المدنية كانت تحت سلطة الوالي وتتألف هذه المكاتب من ضابط، قائد المكتب، ضابطين مساعدين، مترجم أمين الجنود، خوجة مكلف بالمراسلات مع الأهالي شاوش مكلف بالنظافة طيب، وفرقة من الجنود المسمى السباهي².

مهام المكاتب العربية:

كان ضباط الشؤون العربية واسطة بين السلطات العسكرية وسكان الأهالي وكانت لهم مهمة مزدوجة تتمثل في توفير المعلومات على حالة السكان النفسية وضمان إدارة عادلة

¹ - عبود علي، الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض، 1830-1899م، القطاع الوهراني نموذجاً، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، أطروحة لنيل شهادة الماجستير، 2013-2014م، ص: 40.

* - دارلون: ولد بمدينة ريمس انضم الى الجيش كجندي في 1782م عمل في جيوش الشمال الى ان ترقى الى رتبة جنرال سنة 1799م شارك في حملات الامبراطور وحتى واترلو، وفي 1830م وبعد ثورة باريس عاد الى العمل العسكري بعد الحكم بالاعدام على الملك لويس 18 تم تعيينه على راس الفيلق 11 لنانة توني في 25 جانفي 1844م انظر: حباش فاطمة المرجع السابق، ص: 53.

² - عبود علي، المرجع السابق، ص: 40-41.

ومنتظمة للقبائل، بحيث لم يكن لهؤلاء الضباط الأحرار في سلوكهم، كما كانت مهام هؤلاء الضباط إيجاد الحلول لكل المشاكل التي يعرفها مجتمع الأهالي الذي يخضع في آن واحد لضروريات الحرب ومتطلبات السلم¹، ويتابعون تحصيل الضرائب، ويشرفون على الأشغال العمومية، ويضممون كشوف الأملاك لتمكين مصلحة أملاك الدولة في اقتطاع أرض لفائدة الاستعمار، ويجرسون المحاصيل، كما كانوا يقترحون تعيين قادة الأهالي أو عزلهم، وكانت المكاتب العربية تقارن أحيانا بسلطة الباشا حسب ما كتب أحد ضباط هذه المكاتب هيغوي: "إن المكتب العربي له سلطة أوسع على المسلمين، لأنه زيادة على كل المهام التي يمكن للباشا أن يقوم بها، يراقب بالجزائر كل ما يتصل بالديانة الإسلامية.

كما كانت المكاتب العربية تعمل بحكم صلاحيتها في عزلة عن الضباط الآخرين وبلورت روحها الذاتية، ولقد أعتمد عليها القادة العسكريين وكانوا يوافقون على اقتراحاتهم لأنهم كانوا منشغلين بإدارة الجيش².

لاشك أن المستعمر وجد نفسه يجهل لغة الأهالي وعقيدتهم وتقاليدهم ونتيجة للفوضى الذي أحدثها المستعمر، حاول المحتل إيجاد مؤسسة تكون همزة وصل بين قواته الغازية والجزائريين، فأحدث الدوق روفيغو الحاكم العام للجزائر 1833م فرعا في مكتبه سماه "المكتب العربي" الذي أصبح يطلق عليه فيما بعد "مصلحة الشؤون العربية" والتي أسندت إداريا إلى النقيب لامورسيار لأنه كان يحسن التكلم باللغة العربية، والحقيقة أن تلك الإدارة أو المؤسسة لم تكن تهتم بشؤون الأهالي بقدر ما كانت تعمل من إخضاعهم وبسط نفوذ فرنسا في كامل التراب الجزائري³.

كما كان للمكاتب العربية مهام أخرى، فهي كانت تسعى إلى مساعدة المستعمر على إخضاع القبائل للسلطة الاستعمارية ومراقبتها ودراسة القبائل المشبوهة بالإضافة إلى مراقبة

¹ - شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص: 557.

² - نفسه، ص: 558-559.

³ - صالح فركوس، المرجع سابق، ص: 245-246.

الزوايا والقادة الروحانيين والتقليص من نفوذ رؤساء الأسر الكبرى وتولي مهمة القضاء والفصل في خصوصيات الأهالي¹ إضافة إلى إحصاء عدد أفراد القبائل وضع خرائط لأماكن تواجد المياه، لإحصاء عدد رؤوس المواشي في بداية كل سنة، وإحصاء أراضي الباليك والغابات².

المكاتب العربية وسياسة الاستيطان:

بعدما خضعت بلاد القبائل للجيش الفرنسي في 1857 اكتملت سيطرة فرنسا على شمال الجزائر تقريبا، وبذلك بدأ الصراع حول استمرار الحكم العسكري القائم على المكاتب العربية، بالنظر إلى النتائج السلبية التي رافقت هذه المكاتب من رشوة وتحويل أموال وقمع ولهذا استغل المستوطنون الفرصة فراحوا يهاجموا السلطة العسكرية والمكاتب العربية وينادون بدمج الجزائر في فرنسا في إطار حكم مدني وتجريد الجزائريين من أراضيهم.

وهذا ما جعل ضباط المكاتب العربية يظهرون بمظهر زائف المدافع عن المصالح الأهالي بحيث يعتبرون أنفسهم هم المترجمين لمطالب الأهالي، وهذا ما جعل ضباط المكاتب العربية ويقومون بهجمة شديدة ومعارضة كبيرة ضد الاستيطان، ما جعل المكاتب العربية والإدارة الفرنسية عموما تقوم بتنظيم الاستيطان، وتتجنب الطرد الفوضوي وذلك بصدر قانون السيناتوس كونسيلت في 23 أبريل 1863م والذي يرمي إلى الملكية الفردية للأرض.

لتطبيق هذه السياسة الجديدة التي كانت صعبة بالنسبة للمكاتب العربية، وأما المستوطنين فقد أصيبوا بخيبة أمل عندما أسند مهمة تنفيذ هذا المرسوم إلى المكاتب العربية³.

لأن المكاتب العربية وقفت ضد أطماع المستوطنين، فقد كانت تريد تنظيم ملكية الأراضي، كما أنها تحاول الانتقال من الملكية الجماعية إلى الملكية الفردية.

¹ -صالح فركوس، المرجع السابق، ص: 248-249.

² - عبود علي، الاستيطان، المرجع السابق، ص: 41.

³ - راضية بن جبور، المكاتب العربية ودورها في إنجاح السياسة الفرنسية بالجزائر (1844-1900م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر، قسم العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، جامعة بسكرة، 2012-2013م، ص: 46.

لقد كان نابليون الثالث يعول كثيرا إلى تكوين مملكة عربية ترمي إلى تحقيق غايتين أساسيتين هما: تقسيم البلاد إلى قسمين: الأول يشمل المجتمع الجزائري التقليدي، والتقسيم الثاني يشمل المعمرين، ولكن فكرته يصعب تنفيذها على أرض الواقع، وهذا بسبب معارضة الأمير له، لأنها سعت إلى تقليص من إمتيازات تلك الأسر ومن بينها: أسرة المقراني، وهذا ما جعل المعكرين يتهمون المكاتب العربية أنها هي التي شجعت هذه الأسر للقيام بثورة 1871م. سأل نابليون الثالث ماكهون " اشرحوا لي لماذا يكره المعمرين المكاتب العربية؟ وكانت إجابة ماكهون: مولاي السبب الذي يجعل المعمرين يكرهون المكاتب العربية مثل السبب الذي يجعل رجال التهريب يكرهون الجمارك"¹.

في عهد الجمهورية الثانية التفتت المكاتب العربية إلى مطالب المعمرين، ووعدتهم بتحقيق مطالبهم بشكل تدريجي، وخاصة ما يتعلق الأمر بالإدماج التدريجي بتحقيق توازن مؤسسات القطر الجزائري مع المؤسسات فرنسا، وربط القضاء، وإزالة منصب الحاكم العام، وجعل السلطة العسكرية تابعة للسلطة المدنية.

بعد الهزيمة التي تلقاها الفرنسيين في حرب 1871م على يد الألمان وجهت الدعوة للمستوطنين مجددا في الجزائر بتخصيص أراضي زراعية واسعة للوافدين من شمال فرنسا بعد حجزها من الفلاحين، ما بين 1875-1879م فقد شهدت الجزائر أكبر موجة استيطانية منذ بداية الاحتلال الفرنسي، وبلغ الحد بالإدارة الفرنسية إلى أن استأجرت الأراضي المغتصبة إلى أصحابها الأصليين في انتظار تسليمها مجانا للمعمرين، وسميت هذه المرحلة بالاستيطان الرسمي، لأن إدارة الفرنسية هي التي اتخذت المبادرة في اختيار الأراضي والمستوطنين².

تعتبر المكاتب العربية هي أسلوب من الأساليب إدارة الأهالي والهدف هو تجميع هؤلاء الأهالي ومن ثم سهولة التحكم فيهم وتسييرهم بأسلوب يضمن مراقبة تحركاتهم وإحصاء

¹-راضية بن جبور، المرجع السابق، ص: 47.

²-نفسه، ص: 48-49.

ممتلكاتهم لغرض إيجاد مساحات الاستيطان حيث دار جدل كبير بين المستوطنين وقادة الجيش الفرنسي ولم ينتهي هذا الجدل إلا بعد إلغاء هذه المكاتب مع بداية الجمهورية الثالثة، حيث أتهم ضباط المكاتب العربية بالتواطؤ مع الأهلي لإعاقة الاستيطان، وقد دفع ضغط المستوطنين نابليون الثالث خلال زيارة إلى الجزائر سنة 1865 إلى التصريح: " لا يمكن للمكاتب العربية أن تكون مؤسسة إدارية لها وظيفة أو سلطة خاصة لا بد على الضباط أن يتدخلوا تحت سلطة القيادة ولا بد أن تخضعوا لأوامرها كما يجب أن تكون الرسائل من قادة الأهلي موجهة للقيادة، ولن يكون دور الضباط سوى نقل التوجيهات ورؤى القيادة..."¹.

آثار المكاتب العربية:

لقد غرق العرب في شكليات الإدارة المدينة، ولكن إمكانية التعسف بالسلطة أدت حتما إلى تجاوزات، وظهر في بادئ الأمر رجال بدكاء وضمير عميق اعتبروا أن مهمتهم تبشيرية أمثال ريتشارد ولاباسيت، هيغوني ومرغريت في ثنية الحد الذي طبق سياسة مائية ذكية لكن بعد رحيل بيجو الذي دعم المكاتب العربية بقوة، تراجعت الصفات الحميدة في القائمين عليها، مما أثر سلبا في إدارة القبائل وجاء إلى المكاتب رجال شبان، ومتملقون يظني عليهم حس التفوق، وتركوا لحالهم فلم يقاوموا نزوات الجور والظلم كما قال فافر أثناء محاكمة دوانو إلى الاعتقاد: " بأنهم جنس متفوق"، ولما لم يتحصلوا على إعتمادات مالية خاصة أنشؤوا صناديق سوداء حيث استهواهم الانفاق على حاجاتهم الشخصية فقد صرح أحد ضباط الصف يدعى إركمان شاتريان في جملة ببلاد القبائل قائلا: " إن مكانة قائد مكتب وإن كان أصغر القادة، مكانة معتبرة لاسيما فيما يتعلق بالضرائب، إذ أن مجرد ملازم أفلسه القمار والبذخ وكل الطباع المشينة..."²، ولكنك لا محالة تفهم هؤلاء الناس حريصون على مكانتهم وأن جميع المكاتب العربية تضع الإدارة المدنية في خانة ألد الأعداء³.

¹ - عبود على، الاستيطان، المرجع السابق، ص: 40.

² - شارل اندري جوليان، المرجع السابق، 560-561.

³ - نفسه، ص:-562.

لقد أصبح القرع بالعصي وسيلة لانتزاع الاعترافات وكان يتسبب أحيانا في موت الضحية، وتم ذات مرة تسليم أربعة جزائريين من المكتب العربي بتلمسان إلى العدالة العسكرية، بعد اعترافهم تحت ضربات العصا بارتكابهم جرائم السرقة واقتل، إلا أن المحكمة العسكرية برأتهم بإجماع مجلس الحرب بوهران، ولقد أبدع شواويش المكتب العربي بأرزيو عندما كلفهم الضباط باستنطاق عربي بسرقة الماشية، فقتل الضحية تحت العذاب المفرط وذلك ما وصفته جريدة صدى وهران L'écho D'Oran "بالتعذيب التعسفي"، كما أن هيغوني ينصح بحراسة الضباط الشبان الذين يقطعون الرؤوس ليشتبهوا بقوة¹.

لقد جلبت المكاتب العربية إليها سخط المعمرين دون أن تتمكن من استمالة الأهالي إذ لم ينسى القادة الإهانات التي تعرضوا لها رغم الخدمات التي قدموها كما رفض الفلاحين التورط مع المسيحيين، متحملين جور الضباط دون استسلام وقوبلت المكاتب العربية بنفس الرفض، ولقد صرح بيليسي في سنة 1850م في تقرير له "لا تجد عربيا له خيمة وأسرّة لا يقلق عندما يتذكر الماضي ولا يقلق على المستقبل، قد كان أقل حزنا أيام مجيئه لنا لأنه تلقى وعدا بأنه ستشتغل الأرض التي ولد فيها ودفن فيها أسلافه².

¹ - شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص: 563.

² - نفسه، ص: 566.

الفصل الثاني:

الأوضاع الاجتماعية بالقطاع

الوهراني 1830م - 1914م

تفيد الدراسات التي أعدت عن القبائل الجزائرية والعروش الكبيرة منذ بداية الاحتلال الفرنسي وحركة الاستيطان الأوربية التي صحبته، أن عدد القبائل المستوطنة والموجودة داخل ربوع القطاع الوهراني يشتمل على ما لا يقل عن 219 قبيلة وأسرة واسعة¹.

المبحث الأول: بنية المجتمع السكاني في القطاع الوهراني

يعتبر القطاع الوهراني إحدى العمالات الثلاثة للجزائر وهو يتميز بانخفاض عدد سكانه الجزائريين مقارنة بالعمالتين الأخرتين، في حين احتل الأوربيون الصف الأول في هذه العمالة بسبب تواجد الأمن وتطور العمل الفلاحي، فوهران عاصمة القطاع كانت مركز للاستيطان الأوربي، فتطورت من مدينة صغيرة إلى مقاطعة وإلى مركز للعمالة حيث تميزت بطابعها العمراني والاقتصادي وأصبحت وفق مرسوم 24 أكتوبر 1870م عمالة².

بذلك فمساحة القطاع الوهراني قدرت بـ 105.000 كلم² منها في القسم الشمالي بمساحة 39.000 كلم² وبالقسم الجنوبي 66.000 كلم² قبل 1902م وهو يمتد من منطقة Nemours (جماعة الغزوات) غربا إلى جبال الظهرة شرقا ومن البحر المتوسط شمالا إلى الهضاب العليا الغربية وصولا إلى جبال الأطلس، وطبقا لهذا الامتداد الجغرافي تشكل اتحاد قبلي موسع وهو ما يطلق عليه بالكونفيدرالية القبلية (Confédération)³، استوطنت هذه الاتحادات والكونفيدراليات القبلية عبر الفترة التركية -العثمانية- بل قبل ذلك، وخلال القرن التاسع عشر ميلادي بعمالة وهران⁴.

¹ - إبراهيم مهديد، القطاع الوهراني ما بين 1850م و1919م، دراسة حول المجتمع الجزائري، الثقافة والهوية الوطنية، (د

ط)، منشورات دار الأديب، وهران، د ت، 2006م، ص: 33.

² - بليل محمد، تشريعات، المرجع السابق، 2007م، ص: 18.

³ - عبود علي، المرجع السابق، ص: 17.

⁴ - إبراهيم مهديد، القطاع الوهراني، المرجع السابق، ص: 33.

من جانبه ذكر تينتوان (Tinthoin) أن القطاع الوهراني يمتد من سهول الشلف شرقا إلى مصب وادي المالح ومن البحر المتوسط إلى الهضاب العليا، ونقصد به المكان الذي كانت تسيطر عليه قبائل المخزن¹.

وقد حدد نوفيون (M.Nouvion) والي وهران من خلال دراسة رسمية حول المقاطعة الامتداد من البحر المتوسط إلى واحات أولاد سيدي الشيخ جنوبا وإلى وادي مينا وحدود مقاطعة الجزائر شرقا بمساحة 11552774 هكتار أي 102000 كلم²، تشكل فيها الأراضي التالية من المقاطعة امتداد على عمق 200 كلم انطلاقا من الساحل وانتهاء بخط يمتد من سبدو إلى الحصايية (سيدي بلعباس) سابقا Megenta مروراً بالضاية سعيدة ثم فرندة وتيارت.

وطبقا لهذا الامتداد الجغرافي كانت تعيش القبائل² في القطاع الوهراني وعرفت بأسمائها وذلك حسب خصوصيتها العرقية والحضارية والثقافية والاجتماعية، حيث المعاش والمنفعة، فالهضاب الساحلية والسهول المنخفضة غرب عمالة وهران استوطنتها قبائل "ترارة" و"ولهاصة" داخل المنطقة التلمسانية³، وبني عامر، الحشم أو هاشم بمعسكر⁴، أما سهول وهران فهناك إتحاد الدواير والزماله وفي سهل مستغانم هناك إتحاد لمجاهر أما قبائل الغرابة فقد وجدت بحوض معسكر الداخلي وبالنسبة للسهول العليا في عمالة وهران فإن قبائل "جعفرة" استوطنت حوض تيارت من الناحية الشرقية.

¹ - عبود علي، المرجع السابق، ص: 17-18.

² - إبراهيم مهديد، المرجع السابق، ص: 33.

³ - عبود علي، المرجع السابق، ص: 17.

⁴ - إبراهيم مهديد، المرجع السابق، ص: 33-34.

استوطنت الغسول حوض تلمسان مع أهل أنكاد من الناحية الغربية، أما عروش فليتة استقرت بالظهرة والونشريس والحميان بالمشرية وبعض مناطق غرب وهران¹، وداخل المرتفعات الأطلسية تستقر قبائل جعفر الشراقة في شرق سعيدة وقبائل صمودة، وغرب منطقة الضاية هناك أهل أنكاد شراقة وفي الجهة الغربية هناك قبائل جبايلية في المنطقة التلمسانية، أما داخل المناطق الجنوبية وفي الأطلس الصحراوي توسعت قبائل أولاد سيدي الشيخ في جبال القصور وعروش تراني في مناطق البيض².

إضافة إلى هذا كانت هناك:

أ/ قبائل الرعية:

تنقسم إلى مجموعتين:

1/ المجموعة التابعة لأغاليك الدواير والزمالة: تتشكل من مجاهر قبيلة فليتة الكبرى أولاد فارس، بني زودمة، هوارات، قبيلة الصحاري، أولاد خلوف، أولاد سيدي خليفة، الكرامية عكرمة القبيلة، قبائل أولاد الشريف الكبيرة، أولاد فارس.

2/ المجموعة التابعة لخليفة الشرق: تتشكل من هراواة الوسطى قبيلة بني زقرق، بني شعيب، بني مايدة، بني بوحطاب، قبيلة عطاف الكبيرة، حميس أولاد قصير بني راشد، شوشاوة، قبيلة الصبيح الكبيرة، أولاد خويدم، أولاد العباس.

ب/ القبائل المستقلة:

هكذا سماها رين (Rinn) وذكر منها قبيلة بني أوراغ الكبيرة المتشكلة من إحدى وأربعين قبيلة صغيرة (ماريوه، أولاد دافلتن، منكورة، أولاد علي، أولاد العباس، العجامة، أولاد بويكني، أولاد موجار، أولاد أزم، قبيلة مطماطة الكبيرة، بها ست فروع، قبيلة بني تيغرين الكبيرة (أولاد بركان، أولاد بختة مكن) قبيلة الكراش الكبيرة (الكريش، أولاد مبارك، بني زيجة،

¹ - عبود علي، المرجع السابق، ص: 17.

² - إبراهيم مهديد، المرجع السابق، ص: 34.

أولاد محلة، القيرية)، قبيلة حلوية الكبيرة المتكونة من إحدى عشرة قبيلة صغيرة (دار البصري) قبيلة المعاصم الكبيرة بها خمسة فرق، قبيلة أولاد يعقوب، قبيلة الحساسنة الأنجاد، قبيلة العمور، أولاد مولاي عبد المالك، بني سنوس، بني بوسعيد¹.

1- فئات المجتمع الريفي:

تأثرت القبيلة بسبب التغيرات التي تعرضت لها، مما أثر على بنيتها الاجتماعية، ونلمس هذا من خلال الفئات المكونة للمجتمع ويمكن تقسيم المجتمع إلى قسمين منها الفئة المزارعة وعلى رأسها ملاك الأراضي والمزارعين، وفئة العمال بنوعيتها الموسمية والدائمة.

أثرياء الريف: يقصد بهم الفئة المالكة للأراضي الزراعية والعقارات، وهي فئة صمدت أو تأقلمت مع الوضع الجديد رغم سياسة فرنسا التي عملت على تجريد الجزائريين من ممتلكاتهم وقد تضررت هذه الطبقة من الأزمات التي شهدتها العمالة بسبب تراجع حجم الملكية وسياسة المصادرة المطبقة عليهم رغم هذا حافظت بعض الأسر أو على الأقل استرجعت بعض الأراضي وهناك فئة من الفئة الثرية الجديدة قد استفادت من الوضع وحسنت وضعها بسبب الحصول على مناصب إدارية خاصة منصب القياد ونحوها في عدة مناطق من العمالة أهمها: سعيدة، معسكر، تيارت، سيدي بلعباس، تلمسان، ومستغانم² وتنقسم مجموعة أثرياء الريف إلى:

أ- الفئة الثرية الكبرى: هي الشريحة التي تمكنت من الاستفادة من الأوضاع السياسية الجديدة وتمكنت من الحفاظ على ممتلكاتها أو استرجعت بعضها مثل أسرة أولاد حدو من غليزان.

ب- الفئة الثرية المتوسطة: تشبه الأولى من حيث امتلاكها للأراضي مع وجود تفاوت من حيث حجم المساحة لها دور سياسي ثانوي فهي خاضعة خضوعاً تاماً للسلطة الفرنسية.

¹ - لحسن محمد عين طارق، المرجع السابق، ص: 27-28.

² - بختاوي خديجة، التحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في عمالة وهران (1870م-1939م)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2011م-2012م، ص: 297-298.

أ. الفئة الثرية الصغرى: كانت تمثل فئة الملاك الصغار التي لم تتجاوز حدود ملكيتها خمس هكتارات وكان فكر أصحاب هذه الفئة محصورا في تطوير الإنتاج الزراعي¹.

إضافة إلى هذا ظهرت بعض الأسر الثرية كعائلة بن شيحا من عين تموشنت وهي العائلة التي برزت مع بداية القرن الثامن عشر ميلادي²، وأسرة حبيب دحو التي كانت لها ثروة مالية مقدرة بـ 800.000 فرنك فرنسي على شكل عقارات في الريف، وهي عبارة عن أراضي فلاحية وثروة حيوانية متنوعة³، وعائلة بوعناني من سعيدة وهي من اصل قريشي، وأولاد قادي من وهران وفرندة الذين ينحدرون من أسرة مصطفى بن إسماعيل زعيم الدواير والزمالة⁴، أسرة بن عبد الرحمن حاج قاسم، التي كانت تملك أراضي واسعة 170.000 هكتار من أجود الأراضي الزراعية، و170.000 هكتار من الغابات في تيارت، إلى جانب عقارات أخرى ودخل مالي ثابت يتراوح ما بين 6 و7 آلاف فرنك، وفي مستغانم نجد عائلة كريتلي التي كانت تمتلك مصنعا للكبريت وآخر للنسيج، وعائلة أخرى كانت متخصصة في صناعة الجلود، أما عائلة بن عليوة فكانت لها مصانع في التعدين، وقد انظم أحد أفرادها إلى الغرفة التجارية مما سمح لها مواصلة نشاطها الصناعي⁵، وعائلة العربي التي ارتبطت بمنطقة مينا وهناك عائلة صحراوي بخير الدين في منطقة مستغانم وبن الحاج جلول الذين يعتبرون أسيادا بالوراثة لدى قبيلة فليته وهناك بشرق عمالة وهران دائما عائلة أولاد بومدين ويمثل ابن علي بومدين زعامة أولاد بومدين، وأسندت قيادة الأغوية الإدارية إلى ابنه الأكبر مصطفى وأخيه الحبيب بن علي بومدين، أما سي أحمد ولد علي بومدين فعين قائدا -قائد قبيلة لمحال-، إلا أنه قتل يوم 4

¹ - بختاوي خديجة، المرجع السابق، ص: 300-301.

² - إبراهيم مهديد، المرجع السابق، ص: 35.

³ - بختاوي خديجة، المرجع السابق، ص: 346.

⁴ - إبراهيم مهديد، المرجع السابق، ص: 35.

⁵ - بختاوي خديجة، المرجع السابق، ص: 346-347.

فبراير 1865م إبان ثورة أولاد سيدي الشيخ حيث رافق الجنرال دولنييه (Deligny) في حملته وعوض بابن أخيه سي محمد ولد مصطفى¹.

وهناك العديد من الأسر في العمالة التي تمكنت من توسيع ثروتها وأصبحت من الأسر النافذة والمتحكمة والقادرة على منافسة أكبر الأسر الفرنسية، ومنها: عائلة بن قلفاط وهي أسرة عرفت بمزاوالتها النشاط الحربي، مارست التجارة وامتلكت معاصر الزيتون وتاجرت في التبغ إلى جانبها أسرة قارة بن سليمان التي كانت لها مؤسسات صناعية مهمة زاولت التجارة، وبلغ رأس مال احد أفرادها 200.000 فرنك فرنسي²، ففي سنة 1850م تألفت أسرة سي حمزة بن سيدي أبي بكر وابنه أبي بكر وأخيه سليمان الزعيم الروحي والحربي لثورة أولاد سيدي الشيخ وسي محمد وأحمد (رابع أبناء حمزة)³.

وبذلك فالقطاع الوهراني ذو تركيبة سكانية متنوعة من الجزائريين المنخرطين في الكونفدراليات القبلية السابقة الذكر ومجموعات أوربية أبرزها الإسبانية والفرنسية فهذا بيرمينهوف (Peyrminhoff) يقدم لنا في تقريره عن تطور نسب السكان في العمالة بأنها تضاعفت تدريجيا من 0.6 في الألف إلى 3 في الألف نسمة من سنة 1876م إلى 1895م وارتفعت أيضا من 8 في الألف نسمة سنة 1896م إلى 9.6 في الألف نسمة في السنوات اللاحقة حيث عرفت سنة 1903م، نسبة 32.1 في الألف نسمة من مواليد من الأهالي ونسبة 18.8 في الألف نسمة وفيات منهم، وأن الإحصائيات كانت تقام كل خمسة سنوات من 1881م إلى 1914م⁴.

¹ - إبراهيم مهديد، القطاع الوهراني، المرجع السابق، ص: 35-36.

² - بختاوي خديجة، المرجع السابق، ص: 347.

³ - إبراهيم مهديد، المرجع السابق، ص: 38.

⁴ - تشريعات بليل، المرجع السابق، ص: 19.

إن التجمعات السكانية في العمالة قد وجدت في المدن أيضا وهذه المدن كانت موجودة قبل الاحتلال لكنها كانت ذات كثافة سكانية قليلة مقارنة بالريف، وسكن المدن مجموعتين مختلفتين: ضمت المجموعة الأولى الجزائريون ونجدهم في العناصر التالية:

البربر: سكنوا المدن المتطورة المزودة بالمحلات التجارية والمراكز الثقافية وكونوا لأنفسهم نظاما سياسيا واجتماعيا خاصا بهم، كان له طابع عسكري أكثر منه مدني.

العرب: شكلوا الأغلبية العظمى واستقروا بشكل أساسي في المناطق الساحلية التي تمتد من ساحل البحر المتوسط إلى سلسلة الأطلس التلي، وكان عرب المدن من البرجوازيين ومارسوا أعمالا حرة مربحة كالتجارة.

أما المجموعة الثانية فخصت الأجانب تضمنت الهجرة الأوربية عناصر مختلطة بنجد على رأسها الفئات التالية:

الفرنسيون: لقد شجعت الحكومة الفرنسية مواطنيها على الهجرة نحو الجزائر وذلك لتغليب العنصر الفرنسي على الجزائري، فإنه خلال الفترة الممتدة ما بين سنة 1871م إلى 1895م استقرت حوالي 13.301 أسرة فرنسية جديدة قدمت مباشرة من فرنسا تم توزيعهم عبر مختلف المراكز¹.

الأسبان: لقد تطور عدد الأسبان في العمالة بشكل ملحوظ ما بين سنة 1903م إلى سنة 1906م وعرف العدد زيادة حيث وصل عددهم إلى 10.945 نسمة بمتوسط 2.500 شخص لكل سنة، ثم ارتفع إلى 15.815 شخص في سنة 1903 وارتفع إلى 18.331 شخص في سنة 1904م، ثم قفز إلى 21.172 في سنة 1905م²، إلى جانب هذا فإن ارتفاع عددهم قد شكل خطرا على "الكولون" الفرنسي، فحسب إحصاء سنة 1899م، فإن مقاطعة وهران كانت تضم 70.628 أجنبيا مقابل 48.832 فرنسي، وفي سيدي بلعباس

¹ - بختاوي خديجة، المرجع السابق، ص: 316-317.

² - نفسه، ص: 325.

17.267 أجنيا مقابل 1237 فرنسا، أما في تلمسان فوجد 7303 أجنيا مقابل 6938 فرنسا، وهذا يعني سيطرة الأسبان على العنصر الفرنسي، أما إحصائيات سنة 1906 فتشير إلى أن عدد الفرنسيين في العمالة وصل إلى 85.192 فرنسا مقابل 156.925 أسبانيا مجنسا وغير مجنس¹. وقد كان الأسبان موزعين على القطاع الوهراني بنسب متفاوتة والذين هم موزعين كما يلي:

دائرة وهران: 45.420 ودائرة بلعباس 9.331 أسباني، ومعسكر 3.770، مستغانم 3.749، تلمسان 3.712²، وأن عددهم وصل في بلدية المكرة المختلطة إلى 1005 سنة 1890م وأن مركز سيدي دحو لوحده بلغ فيه عدد الأسبان 12.000 ألف³. وقد وضعنا جدول يمثل التركيبة البشرية لمدينة سيدي بلعباس سنة 1859م

الجنسية	العدد	%	الجنسية	العدد	%	الجنسية	العدد	%
1. فرنسيين	2157	41.01	6. ألماني	168	3.1	11. مولداف	01	0.01
2. إسبانيين	2046	38.9	7. بولنديين	19	0.36	12. فلاك	01	0.01
3. إيطاليين	147	2.7	8. سويسريين	06	0.11	13. عرب	102	1.93
4. مالطيين	13	0.2	9. إنجليز	02	0.03	14. سود	148	2.81
5. بلجيكا وهولندا	56	1.06	10. روس	02	0.03	15. يهود	391	7.43

المصدر: محمد مجاود، المرجع السابق، ص: 71.

وقد أشار إحصاء سنة 1881م المؤرخ بتاريخ 28 ديسمبر 1881م إلى مجموع سكان العمالة وكان كالآتي:

- الجزائريون: كان عددهم 595.932 نسمة.
- الفرنسيون: كان عددهم 70.575 نسمة.

¹ - بختاوي خديجة، المرجع السابق، ص: 327.

² - إبراهيم مهديد، المرجع السابق، ص: 13.

³ - محمد مجاود وآخرون، تاريخ منطقة سيدي بلعباس خلال الفترة الاستعمارية 1830-1962م، (د ط)، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005م، ص: 72-73.

- الإسرائيليون: كان عددهم 14.588 نسمة.

- الأجانب: كان عددهم 87.451 نسمة.

أما في سنة 1886م فقد بلغ مجموع السكان في العمالة بـ 879.65 نسمة بينما ديشار (Dechard) قدم في مقال له عن الانعكاسات الاقتصادية على المواليد بالقطاع الوهراني بأن عددهم ارتفع سنة 1906م إلى 1.122.538 نسمة، يمثل الجزائريون العدد الأكبر بـ 797.838 نسمة.

يتميز القطاع الوهراني بأنه أكثر العمالات التي يتواجد بها الأوروبيون بنسبة 21% مقابل 79% مسلمين، وحلل قوتي (Gautier) لنا تطور السكان بشكل عام في الجزائر من 1856 إلى 1926م موضحا بأنه رغم المشاكل إلا أن التكاثر السكاني أصبح ملحوظا لديهم.

هناك ملاحظة أخرى أثارت انتباهنا بالقاع الوهراني، تتمثل في احتلال اليهود عام 1926م مركزا أول بـ 10.636 نسمة بمدينة وهران من مجموع 22.751 بالعمالة مما يد على الدور الاقتصادي الذي كان يلعبه اليهود في عاصمة القطاع¹، وقد استفاد اليهود من مرسوم كريميو 24 أكتوبر 1870م الذي منحهم الجنسية الفرنسية دون التخلي عن أحوالهم الشخصية وقدر عددهم في هذا التاريخ ما بين 15 إلى 30 بل 70 ألف نسمة² وقد أصبحت عمالة وهران من العمالات التي استقطبت هذه الطائفة وشهدت اتساعا من حيث إقامة المراكز الاستيطانية³، كان هدف السلطة الفرنسية إدماج اليهود لصالحهم لمواجهة عدد المسلمين⁴، وحسب إحصائيات سنة 1906م فإن عددهم قد وصل إلى 22751 يهوديا وازداد بسبب مجيء العديد منهم من مختلف الدول خاصة من المغرب الأقصى الذي كان يضم

¹ - محمد بليل، المرجع السابق، ص: 19.

² - محمد مجاود، المرجع السابق ص 70.

³ - بختاوي، المرجع السابق، ص: 330.

⁴ - محمد مجاود، المرجع السابق، ص: 70.

عددا لا بأس به من الجالية اليهودية وفي سنة 1911م وصل عددهم إلى 30000 موزعين بشكل خاص بين تلمسان ووهران خلال الحرب الاسبانية لوحظ كثرة الهجرة اليهودية واستقرارها في العمالة، واستقر اليهود في عدة مناطق من العمالة أهمها: معسكر ومستغانم وندرومة، وتلمسان وقد تم تخصيص أماكن محددة أقاموا عليها مساكنهم وكانت على شكل حارات¹، ففي مدينة سيدي بلعباس تطور عدد اليهود بشكل يلفت الانتباه فتغير العدد من 391 فقط سنة 1856م إلى 427 سنة 1877م ثم 1250م سنة 1912م².

¹ خديجة بختاوي ، المرجع السابق، ص: 331.

² محمد مجاود، المرجع السابق، ص: 70.

المبحث الثاني: التعليم بالقطاع الوهراني ما بين 1830م-1914م

التعليم الذي كان سائدا في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي في 1830م هو التعليم العربي الإسلامي الذي يقوم أساسا على الدراسات الدينية واللغوية والأدبية وقليل من الدراسات العلمية وكان التعليم منتشرا انتشارا واسعا في هذا العهد، بوجود المعاهد المختلفة وعدد هام من رجال العلم¹.

من الممكن وصفه بالتعليم الأصلي باعتباره تعليما يمثل المنهج التربوي الذي مارسه أجيال من المتعلمين وباعتباره حافظ على التراث القومي في وجه الغزو الحضاري الأجنبي، وأبرز مؤسساته هي المدارس الابتدائية القرآنية (المكاتب-الكتاتيب) ودروس المساجد التقليدية²، كان هناك أكثر من ألفي مدرسة للتعليم الابتدائي والثانوي والعالي باعتراف الفرنسيين، كما يتولى التدريس فيها نخبة من الأساتذة الأكفاء، كما أن الطلاب كانوا من الشباب الناهض والمتعطش للعلم والمعرفة، هذا فضلا عن مئات المساجد التي كانت تعنى بتلقين طلابها اللغة العربية، كانت تلمسان ومازونة مراكز لأكبر المعاهد التربوية في الجزائر³، إذ أصبح التعليم العربي من أهم مقومات الثقافة العربية الإسلامية داخل المجتمع الجزائري على غرار المجتمعات العربية الأخرى فالدين الإسلامي يعتبر مقوما كبيرا للشخصية الجزائرية، ومن هنا يتجلى دور المساجد والزوايا التي أدت وظيفتها في نشر التعليم بجميع أنواعه وإلحاقها بالمدارس والمعاهد العليا مثل: مازونة وبطيوة ومعسكر، والجامع الكبير بتلمسان وجامع سيد العربي وزاوية الأمير عبد القادر في الغرب الجزائري⁴، على العموم فإن التعليم العربي الإسلامي كان مزدهرا غداة الاحتلال الفرنسي

¹ - عبد القادر حلوش : سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، (د ط)، دار الأمة، الجزائر، 2010، ص: 27-28.

² - أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1998م، ص: 17.

³ - عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص28.

⁴ - إبراهيم مهديد، المثقفون الجزائريون في عمالة وهران خلال الحقبة الكولونيالية الأولى 1850-1912م، (د ط)، منشورات دار الأديب، وهران، 2006م، ص10.

في جميع مستوياته¹، فالمصادر تشير مثلاً إلى اشتهاار تلمسان بمدارسها بعثور الفرنسيين أثناء الاحتلال على حوالي خمسين مدرسة ابتدائية وثلاثة معاهد للتعليم الثانوي والعالي كما وجد بنفس المدينة ثلاثون زاوية تؤدي وظيفتها التربوية والدينية².

1- التعليم الابتدائي:

لقد كثرت في الجزائر المدارس الابتدائية القرآنية وكانت منتشرة في جميع القطر الجزائري ولا تخلو منطقة من وجودها وكانت الكتاب (جمع كتاتيب) هو الأساس للتعليم الابتدائي، ويطلق عليه ولاسيما في المدن اسم المسجد أو الجامع والكتاب مخصص عادة لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم مبادئ القراءة والكتابة للأطفال، وأصبحت هذه الكتاتيب منتشرة في جميع الأحياء وكثير منها كان يحمل اسم الحي الواقع فيه³، كان كل مسلم تقريباً يعرف طريقة حفظ القرآن التقليدية عند الأطفال: الجامع في المدن والشرعية (الخيمة) في البادية والمؤدب واللوحه وقلم القصب، ودواة السمق، والطيف، والعصا، والجلوس المربع، ورفع الأصوات بالقرآن عند الحفظ، والتنافس على الحفظ بين الأطفال، ثم الختم والاحتفال به في المنازل، وأخيراً التخرج كطالب والقرآن في الصدر⁴.

التعليم الثانوي:

كانت بعض المساجد والزوايا تؤدي وظيفتها في نشر التعليم بجميع أنواعه وفروعه⁵ وهذا بعد انتهاء الأطفال من المدرسة القرآنية يتوجه الراغبون منهم إلى المساجد والزوايا لمواصلة تعليم المتوسط والثانوي، تصل بعض الدروس فيه إلى مستوى التعليم العالي في مراحل متقدمة⁶.

¹ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص: 22.

² إبراهيم مهديد، المثقفون الجزائريون، المرجع السابق، ص: 11.

³ عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص: 28-29.

⁴ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص: 36.

⁵ عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص: 30.

⁶ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص: 57.

كانت بعض الزوايا عبارة عن مدارس إلى كونها مساكن للطلبة الذين يدرسون فيها وأصبحت بعض المدارس ملحقة بالزوايا وأخرى ملحقة بالمساجد لنفس الغرض وهناك بعض المساجد الكبرى وبعض الزوايا التي تخصصت في الدراسات العليا في القطاع الوهراني والتي نذكر منها: الجامع الكبير بتلمسان وجامع سيدي العربي وزاوية الأمير عبد القادر¹.

كان الطلبة خريجي مدارس تلمسان ومستغانم والجامع الكبير بوهران يواصلون دراستهم في المغرب وهذا لقرب المسافة والحدود وكانت وجهتهم الجامع الكبير بوجده أو جامع القرويين بفاس².

وضعية التعليم العربي الحر:

قبل أن تتوصل الإدارة الفرنسية في الجزائر إلى إيجاد سياسة حقيقية وثابتة في موضوع تعليم الجزائريين الذي ظل عالقا، وكان التعليم السائد والمنتشر دائما هو التعليم العربي الإسلامي التقليدي³، أصبح هذا التعليم منتشر وموزع على كامل القطاع الوهراني، ولدينا جدول يمثل التعليم الأهلي الحر في عمالة وهران.

¹ عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص: 30.

² G.DELPHIN: fas, son universite et l'enseignement superieur musulman,

Paul Perrier, imprimeur, ORAN, 1889; p108.

³ عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص: 134.

لدينا جدول يمثل التعليم الأهلي الحر في عمالة وهران:

الدوائر	عدد المدارس المرخصة	عدد تلامذتها	عدد المدارس الغير المرخصة	عدد تلامذتها	المجموع مدارس	العام تلاميذ
وهران	14	146	140	1048	153	1194
سيدي بلعباس	10	104	73	390	83	494
معسكر	24	201	175	1305	199	1506
مستغانم	28	583	109	1134	137	1717
تلمسان	13	244	146	1402	159	1546
المجموع العام	89	1278	643	5279	731	6557

المصدر: إبراهيم مهديد، القطاع الوهراني، ص: 77-78.

ظلت سياسة الاستعمار تستهدف حراسة المساجد والزوايا التي تعتبرها مراكز لتخرج "عناصر متعصبة معادية للسلطة الفرنسية وكانوا يرون بان الطالب يشكل خطر عليهم داخل المجتمع نظرا لتوعية الناس، ولم يخفي ضباط الاحتلال موقفهم تجاه الطلبة (مدرسو القرآن أو الكتاتيب) فهم - في نظرهم - "أعداؤهم الحقيقيون"¹.

قامت الإدارة الفرنسية بضم المساجد وأملاك الحبس إلى أملاك الدولة وهو الذي كان التعليم يتزود منه وقد أهملت المحاضر والمدارس، باستثناء التي كان المواطنون يشرفون على رعايتها مباشرة وهاجر معظم الأساتذة أثناء فترة الحرب إلى المناطق الداخلية وساءت أحوالهم المادية واكتفوا بأداء المهام المرتبطة بالشعائر الدينية وأهملت الزوايا وهدم بعضها وبعثرت المخطوطات والمراجع القاعدية للتعليم².

شرعت الإدارة الاستعمارية بتقليص المساجد وأعطت للحاكم العام الحق في التصرف في أملاكها وأهملت التعليم الوطني وحصرته في بعض المساجد والزوايا وحاربت التعليم القرآني في إطار سياستها التعليمية اللائكية، حيث فرضت الحراسة على المدارس الدينية، فانخفض عدد المعلمين، واتجه الجزائريون بوسائلهم الخاصة نحو مدارس البلدان الإسلامية وناقشت تقارير

¹ صالح فركوس، المرجع السابق، ص: 382-383.

² شارل روبيير آجيريون، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871م-1919م، ج1، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ص: 582.

عديدة مسألة النشاط الديني، ومراقبة الزوايا والتنبيه إلى خطورتها أما المجلس العام لوهـران فتطرق إلى الشخصيات الدينية الفاعلة في القطاع لوهـراني مثل الزاوية السنوسية التي يترأسها "الشيخ بن عدة"¹ ووفقا لقانون 30 أكتوبر 1886م ومرسوم 06 ديسمبر 1887م تم إخضاع المدارس القرآنية إلى رقابة وتفتيش شديدين من قبل السلطات الفرنسية، وتخص هذه الرقابة بالدرجة الأولى الاتجاه الإسلامي، وتضمنت المادة 48 من مرسوم 1892م التي أخضعت المدارس الخاصة (الحرية الإسلامية) لرقابة وتفتيش السلطات المبينة في المادة 9 من قانون 1886م ومرسوم 1887م وتتمثل هذه السلطات في إشراف البلديات على هذه المدارس ذات التعليم الحر.

وفقا للمرسوم السابق دائما يتم مراقبة المدرسين لمحاولة معرفة الانتماء السياسي للقائمين على هذه المدارس، إن كثيرا من هؤلاء كان ينتمي إلى طرق دينية يعتبرها الاستعمار ذات طابع سياسي مناهض لوجوده وبقائه في الجزائر².

هدفت الإدارة الاستعمارية إلى إبقاء الجزائريين دون تعليم وذلك من خلال استيلاء الفرنسيون على وسائلهم المرصودة للتعليم ولأن المساجد والمدارس قد هدمت وألغيت، من جهتها لم تتحمل الحكومة الفرنسية مسؤوليتها كدولة محتلة إزاء شعب محتل، له حق العيش والتعلم والبقاء³.

كُلف ألكسيس توكوفيل (Alexis Tocqueville) بتحرير محاضر المعاينة وتعداد النقائص فجاءت صياغتها في عبارات قاسية رسخت في الأذهان " لقد بسطنا أيدينا على تلك الموارد (موارد المؤسسات الخيرية الهادفة إلى التكفل بحاجيات الناس في مجال الصدقات

¹ محمد بليل ، تشريعات الاستعمار، المرجع السابق، ص: 153.

² إبراهيم مهديد، المثقفون الجزائريون، المرجع السابق، ص: 15.

³ أبو القاسم سعد الله، ج3، المرجع السابق، 283.

والتعليم العمومي)، وتركنا المدارس تتهاوى وشتتنا المحاضر؛ فانطفأت الأنوار حولنا... ومعنى ذلك أننا تركنا مجتمع المسلمين في حالة من الجهل والوحشية¹.

يمكن القول بان رغم الواقع الاستعماري الاضطهادي للتعليم العربي فاستمرار المدارس العربية الحرة والمعاهد الكبرى ظل طبيعيا لنشر رسالتها التعليمية والتربوية رغم كل المضايقات والإجراءات التعسفية لأصحابها من السلطات الفرنسية، قصد التقليل من نشاطها وتأثيرها على السكان الجزائريين، هؤلاء الذين وجدوا فيها متنفسهم الوحيد لتعليم لغتهم العربية والتفقه في دينهم الإسلامي، فخضع هذا التعليم للرقابة الشديدة أحيانا وإلى إغلاق مؤسساته أحيانا أخرى، وفوق كل هذا تم وضع تعليم كولونيالي يخدم المستعمر ومنافسا للتعليم العربي².

2 / التعليم الفرنسي في القطاع الوهراني:

بعد الاحتلال مباشرة حاولت السلطات العسكرية الفرنسية تنظيم تعليم خاص بالجزائريين لتكوين أفراد موالين لها، فكانت مراسيم تأسيس المدارس والمعاهد الفرنسية والإشراف على التعليم العربي الإسلامي ووضعه تحت الإدارة الاستعمارية.

كان هذا التعليم مخصص لأقلية معينة من المجتمع بينما كانت الأغلبية منه تعيش في الجهل والحرمان الثقافي، فحتى سنة 1882م وصلت نسبة تعليم الجزائريين بمعدل واحد لكل ألف تلميذ جزائري وباتت السياسة التعليمية الفرنسية التي بدأت تتشكل منذ العهد الإمبراطوري³، تهدف إلى القضاء على التعليم الحر بنشر التعليم الفرنسي في أوساط الجماهير الأهلية، لكسب ودّها وتأييدها للاحتلال، أي التعليم من أجل تحقيق شعار "الفتح" كما كان يزعم الاستعمار الذي لا يخالف أصوله وقواعده، وذلك عن طريق تأسيس مدارس عربية - فرنسية، ذلك أن التعليم التقليدي حسب الفرنسيين الذي كان يشرف عليه "الطلبة" ويقدمونه

¹ شارل آجيرون ، المسلمون الجزائريون، ج1، المرجع السابق، ص282.

² إبراهيم مهديد، المثقفون الجزائريون، المرجع السابق، ص15.

³ عبد القادر حلوش، المرجع السابق ص 47.

إلى التلاميذ، كان يشكل عقبة أمام التوغل الاستعماري في البلاد من أجل ذلك كان لابد من مواصلة الكفاح الدؤوب لتحقيق "الاستعمار الفكري" وهو أخطر أنواع الاستعمار¹، ولم تُشر المصادر لأي مبادرة من طرف الاستعمار لإنشاء مدارس قبل سنة 1850م في القطاع الوهراني لكن هناك روايات تقول بأن إدارة الاحتلال أنشأت مدرسة في مستغانم سنة 1837م تحوي 25 تلميذ جزائري².

أصدرت الجمهورية الفرنسية الثانية مرسومين متتابعين لتنفيذ سياستها التعليمية الجديدة في إطارها التجهيلي، الأول في 14_07_1850م ويخص المدارس العربية الفرنسية أي المدارس العلمانية المؤسسة في المدن الكبرى، أما المرسوم الثاني فكان في 30-09-1850 ويخص تأسيس وتنظيم المدارس العربية الإسلامية وكان المرسوم الأول، الخاص بتأسيس المدارس العربية الفرنسية ينص على تأسيس عشر مدارس عربية فرنسية وست للذكور (المادة 1) وأربع مدارس للإناث (المادة 7)³.

يعتبر هذين المرسومين مطابقين للتقاليد الإسلامية حيث صرح بمجانية التعليم الابتدائي، وإسداء الدروس بلغة القرآن، غير أنه حظر الخوض في المواضيع الدينية في دروس اللغة المخصصة للأقسام الصباحية، وكان التعليم الفرنسي مخصصاً لأقسام المساء، غير أن تبسيطه بالعربية أصبح مسموحاً، لكي يرسخ في الأذهان بكيفية أسرع وأعمق، أما التعليم في المدارس المخصصة للبنات مرتكزا على التدبير المنزلي⁴.

ظل التعليم الخاص بالجزائريين ضعيفا بالرغم من صدور المراسيم والقوانين الحكومية لتنظيمه وتوسيع مجاله بالكيفية التي ترغبها الإدارة الفرنسية، فصدر مرسوم 31-10-1863م

¹ صالح فركوس، المرجع السابق ص 389.

² جمال قنان، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار 1830-1944م، (ط خ)، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، وزارة المجاهدين، (د ط)، 2007م، ص: 19.

³ عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص: 50-51.

⁴ شارل روبيير آجيريون، المسلمون الجزائريون، ج 1، المرجع السابق، ص: 585-586.

الذي نص على تأسيس منصب مفتش عام للمؤسسات التعليمية الخاصة بالجزائريين لكل الجزائر، وفي سنة 1865م-1866م فتحت مدارس أخرى في ولاية وهران¹.

وضعية التعليم في ظل الحكم المدني:

كان لسقوط النظام الإمبراطوري في فرنسا انعكاسا مباشرا على الوضع في الجزائر، لقد فتح الباب أمام هيمنة الفلاحين والمستوطنين عموما على شؤون المستعمرة²، كما عرف التعليم الابتدائي الفرنسي نوع من الاهتمام من طرف بعض السياسيين في ظل الجمهورية الثالثة منهم جيل فيري (Jules ferry) الذي كان وزيرا للتعليم آنذاك، وعرف بأفكاره التوسعية ومؤسس المدرسة العلمانية الفرنسية المجانية من خلال إصداره لمجموعة من القوانين³، ففي عام 1870م أنشئت هناك 36 مدرسة ابتدائية عربية فرنسية و 1300 تلميذ، ومعهدان عربيان فرنسيان وثلاثة معاهد دينية إسلامية، في كامل القطر الجزائري، وفي عام 1883م طبق التشريع المدرسي الفرنسي الجديد في الجزائر، فاستاء المستوطنون، وشيوخ البلديات من ذلك وأعلنوا رفضهم لبناء مدارس لما سموه "جماهير الصعاليك" من الأهالي، وتعللوا ببهاضة التكاليف وبسعي الأهالي المتعلمين بعد ذلك لتحقيق الجزائر العربية⁴.

عرفت الفترة الممتدة من جانفي 1883م إلى شهر جويلية سنة 1887م عن فتح 50 مدرسة في كامل الجزائر كان منها 7مدارس في عمالة وهران⁵، وفي حدود عام 1890م لم يكن يرتاد المدارس الابتدائية من أبناء الأهالي سوى 1,9 بالمائة من مجموع الأطفال الذين هم في سن الدراسة وهذه النسبة لا تمثل سوى 10 آلاف طفل، وحاول مدير التعليم جان مير

¹ عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص: 51-52.

² جمال قنان، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار، م6، (د ط)، منشورات وزارة المجاهدين، 2009م، ص: 57

³ آسيا بلحسين رحوي، وضعية التعليم الجزائري غداة الاحتلال الفرنسي، ع7، جامعة تيزي وزو، ديسمبر 2011م، ص: 64.

⁴ يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص: 43.

⁵ عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، (د ط) ص: 230.

(Jean Maire) أن يحسن حالة التعليم بالنسبة للأهالي ولكن المستوطنين حاربوه، وحاربوا مشاريعه وسياسته¹، وتمثل سنوات 1892-1898م مرحلة جديدة في تاريخ المدرسة الفرنسية في الجزائر.

رغم صدور المراسيم السابقة المتعلقة بتنظيم التعليم الخاص بالجزائريين وفق ما تقتضيه المصلحة الاستعمارية كمرسوم 1883 و 1887م ظل التعليم ناقصا ولم يشمل إلا فئة قليلة من الأطفال باعتبار أن وجودها ضروري لتلعب دور الموازن بين المجتمع المسيطر والمسيطر عليه، ثم إن المراسيم نفسها لم تف بغرض الكولون وإلحاقهم في فرض التعليم الجزائري والمختلف عن التعليم الفرنسي في الميترربول².

نستنتج من خلال ما سبق أن الإدارة الفرنسية لم تعطي أهمية بالغة للتعليم في بداية الاحتلال وهذا من أجل تثبيت أقدامها في الجزائر أولا، وان في تلك الفترة كان التعليم منتشر بكثرة وكانت نسبة الأمية قليلة إن لم نقل نادرة، لكن في السنوات اللاحقة أحكمت فرنسا قبضتها على التعليم وذلك لخدمة مصالحها الخاصة بان تقضي على اللغة العربية وبسط اللغة الفرنسية في أوساط الجزائريين وتقوم باستقطاب بعض الفئات لدعم سياستها الاستعمارية والعمل على تجهيل الفئة الأخرى.

¹ يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص: 43.

² عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص: 159.

كانت الإدارة الفرنسية تهدف إلى تخطيط المجتمع الجزائري في شتى المجالات وقامت سلطة الاحتلال بإصدار قوانين ردعية كان وقعها سلبي على الجزائريين، وكان لسياسة المهجرة الأوربية إلى الجزائر والتي توافدت على مقاطعة وهران دور في تهديم المجتمع وقلب الموازين لصالح الأوربيين وهذا ما نلاحظه من خلال تخطيط المجتمع وتدهور حالته الصحية.

المبحث الثالث: الوضع الصحي للسكان في القطاع الوهراني

بدأت معاناة سكان القطاع الوهراني لما توافد الفرنسيين والأسبان بل حتى مختلف الجنسيات من دول جنوب أوروبا والدافع إلى ذلك هو الأزمات الاقتصادية التي كانت تعصف بهذه المناطق أو الحروب الأهلية كما كان الحال في اسبانيا وما يصاحبه من نقل لمختلف الأمراض التي كانت تنقل مع المهاجرين، فلا غرابة أن تشهد الجزائر سلسلة من الأمراض مثل الطاعون و الكوليرا سواء مع بداية الاحتلال أو ما بين 1845-1849م¹، وفي نهاية الأربعين سنة الأولى من المقاومة المسلحة ضد القوات الاستعمارية التي واجه فيها الشعب الجزائري فجأة اختيارا جديدا جعله في خطر يهدد وجوده عبر العديد من المناطق، ففي بضعة أشهر من صائفة 1867م إلى ربيع 1868م تعممت الكوارث، وتسارعت مزعزعة بقوة جماعات مختلفة، لقد فرّ الكثير من المشرفين على الموت والناجين منه جماعات من بواديهم قاصدين المراكز الحضرية، كانت حشود الجماهير الصامتة والنحيلة والعارية تتقدم بصعوبة وأغلبها يسير نحو القبور.

أصبحت الجثث تنتشر في الأدغال وعلى الطرقات وتتراكم داخل المدن وقربها وفقدت مجتمعات سكانية نسبيا كبيرة من تعداد سكانها، مثل مليانة وتنس وحطمت مدينة معسكر كل القياسات².

¹ - صالح عبود ، المرجع السابق، ص: 107-108.

² - الجيلالي صاري، الكارثة الديمغرافية 1867-1868م، (د ط)، المؤسسة الوطنية للاتصال، النشر والإشهار، (ط خ) الجزائر، 2006، ص: 07.

تشير الدراسات على وجود سوى 1851 طبيب و660 مولدة، 661 صيدليا و462 طبيب أسنان ومن بين 1851 طبيب لا يوجد منهم إلا 1145 في المدن الثلاثة الكبيرة: وهران وقسنطينة والجزائر، أما في باقي المدن الكبيرة السبعة فلا يوجد بكل منها سوى خمسين طبيب وهناك بعض الجهات يوجد بها طبيب واحد لكل 10.000 ولكل 30 ألف شخص، و الباقي هو 350 طبيبا موزعين بنسبة 4 إلى 6 لكل مائة ألف شخص، وكان في الجزائر كلها سوى 149 مستشفى منها 12 عسكريا و28 مستوصف غير أن أغلبها يفتقر إلى أبسط وسائل العلاج، وفي جميعها لا يوجد إلا 256000 سريرا، وهناك عجز كبير في قلة الممرضين¹.

كانت المستشفيات تقام في نفس فترة إقامة الحامية العسكرية ففي تيارت أقيم بتاريخ 1842م، وفي هذا الصدد يشير تقرير لامورسيير (Lamorcière) إلى قائد وهران على عدد الأسرة في المركز والمقدرة ب 450 سرير، تقابلها الإحصائيات الرسمية حول الصحة العمومية لسنة 1842م- 1843م التي تشير إلى 150 سريرا، ونفس الأمر حصل لدى مستشفى سعيدة وجد مع الحامية سنة 1844م، والأكد أنه شمل عددا من الأسرة، وكانت المهام موكلة إلى المكتب العربي في متابعة الوضع الصحي للجزائريين والكشف عليهم مجانا وتوفير الأدوية وتوزيعها مجانا والإشراف على عملية التطعيم وتقديم نصائح وإرشادات وقائية من الأمراض المعدية ووضع جدول إحصائي لأهم الحالات التي تم معالجتها².

من خلال هذا يتضح في أن الإدارة الفرنسية كانت تهدف من وراء إقامة تلك المستشفيات والمراكز إلى خدمة مصالحها الشخصية ومصالح الجالية الأوروبية الموجودة في العمالة وكان لها هدفين من خلال الاهتمام بالمراكز أولا لحماية الجنود الذين هم في الحالات الطارئة في حال الإصابة والثاني حماية الجالية الأوروبية والاهتمام بها صحيا أما علاج الجزائريين

¹ - يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص: 58-59.

² - فاطمة حباش، المرجع السابق، ص: 338-339.

فهو من اجل تخوف الإدارة الفرنسية من نقلهم لعدوى الأمراض إلى الفرنسيين والأوروبيين عامة.

أ- المجاعة:

كان للسياسة الفرنسية التي تركت بصمتها وتوقعها في كل مجالات الحياة أسوء أثر على الحالة اقتصادية الزراعة وعلى ظروف الفلاحين المعاشية، وأن الكوارث كانت تقع في الأراضي الخصبة وأراضي الشمل القديمة قبل أن تمسها الإجراءات التطبيقية لقانون 1863م إن الفقر الذي أصاب المجتمع الجزائري يُردّ إلى عوامل منها استمرار الكولون في انتزاع المزيد من الأراضي الفلاحية الخصبة وتقلص الأراضي الزراعية والرعية وانخفاض إنتاج الحبوب ب 20% أمام تضاعف عدد السكان في الجانب الجزائري¹، فقد جاء في تقرير إحدى اللجان عام 1974م "إن المجاعة في التاريخ الإفريقي ليست نتيجة لطبيعة والجفاف...، لكن ذلك يرجع إلى التوازن الاقتصادي والاجتماعي، فقد قام الاحتلال الفرنسي بتدمير هذا التوازن وكذا البنية الفلاحية وأجبر الفلاحين على زرع محاصيل للتصدير من أجل الرأسمالية الفرنسية ورغم الحاجة إلى المحاصيل المعاشية فإنه حدّ من إنتاجها، كما أكد جوليان ذلك بقوله "إن السبب الرئيسي في هذه الكارثة هو تنامي إدخال الجزائر في الحركة الاقتصادية الدولية وتغيير البنية الإنتاجية من طرف النظام الاستعماري وذلك من خلال نشاط رؤوس الأموال والذي أخذ منحنيين باستنزاف ثروات البلاد وتصديرها واستغلال أراضي الجزائريين للزراعة النقدية من قطن وتبغ وغيرها...، بعدما كانت الجزائر تصدر الحبوب إلى أوروبا سابقاً²، كان أكثر من ثلثي الأهالي يعيشون حياة بسيطة جداً ومتقشفة وليست لهم محاصيل ومواشي كافية متوسط إنتاجهم الإجمالي السنوي من الحبوب 19.6 مليون قنطار فيما بين أعوام 1901م-1910م، وكانوا

¹ - عدة بن داهة ، المرجع السابق، ج 2، ص: 13-14.

² - دليلة رحمون، السياسة الزراعية الفرنسية في الجزائر وآثارها على المجتمع الجزائري (1830-1914م)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر، قسم العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، جامعة بسكرة، 2012-2013م، ص: 87.

يعتمدون على الحيوانات وعضلات الإنسان والمحراث الخشبي وهذه الأسباب فإن إنتاجهم من الحبوب ضعيف ويتدهور باستمرار ففي أعوام 1905م-1914م كان إنتاج الهكتار الواحد من الحبوب 6 قناطير¹.

أثرت المجاعات في القطاع الوهراني، حيث جمعت الإدارة الفرنسية في مستغانم وحدها 1270 من الرجال والنساء والأطفال ما بين 30 سبتمبر إلى 04 أكتوبر 1867م، ممن هجروا الريف بسبب المجاعة، وفي وهران تم جمع 2500 فرد جاؤوا من عدة مناطق (مستغانم معسكر، قديل)، وفي الفترة الممتدة ما بين أكتوبر 1867م وماي 1868م هلك حوالي 2540 معظمهم من السكان في بلدية معسكر، و 1353 في غليزان و 1853 في مستغانم وقد بلغ مجموع من هلك من الجزائريين في مقاطعة وهران وحدها أكثر من 160000 هالك حتى شهر أفريل 1868م².

في مقاطعة وهران دائما كان الملاك الصغار يبيعون للمعمرين قطع الأرض العائدة إليهم بعدما فصلتها السلطات من الشمل، وهكذا في جميع نواحي الجزائر تقريبا "اتسع نطاق استهلاك الأراضي إلى درجة أن أولي الأمر أصبحوا يخافون من حدوث الاضطرابات بسبب تفشي الفقر"، والغريب أن هذا التحذير صادر عن السلطة الاستعمارية بالذات ولكنها في الواقع غير صادقة في نواياها، وكل ما في الأمر أنها كانت تتظاهر بالحرص على المصلحة العامة لذلك عمدت في 28 يونيو 1898م إلى إنشاء لجنة، بقرار من الوالي العام "مهمتها دراسة

¹ - يحيى بوعزيز، سياسة التسلط، المرجع السابق، ص: 54-55.

² - نجاة دهنون، التشريعات الاقتصادية الفرنسية في الجزائر وانعكاساتها على المجتمع الجزائري (1830-1900)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر، قسم العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، جامعة بسكرة، 2015-2016، ص: 70-71.

الوسائل الكفيلة بمعالجة الوضع المتردي الناجم عن التسهيلات الكبرى التي أعطيت للأهالي لبيع أراضيهم¹.

ب- الجفاف:

تعرضت الجزائر لأخطر الجفاف في بداية السنة الفلاحية 1860م-1861م وحتى 1861م-1862م، حسب بعض المحطات، كما عرفت جفاف آخر تقريبا في كل التراب الوطني، في السنتين الفلاحيتين 1865م-1866م، و1866م-1867م²، وأن سياسة فرنسا في الجزائر منذ 1871م قد حققت من خلالها أهدافها إلى درجة أن الجزائريين أصبحوا يعيشون في شبه مجاعة سنة 1912م، كما نرى محصول الشعير قد بلغ 4.726.809 قنطار سنة 1911م، لكنه انخفض إلى 2.686.344 قنطار سنة 1912م، وهذا يعني انخفاض المحصول الغذائي³.

ج- هجوم الجراد:

بقي الجراد يهدد الجزائر حتى منتصف القرن 20م، وخاصة منطقة الغرب الجزائري وأنه طيلة العقد 1860-1870م كان الجراد يأتي كل سنة وذلك منذ السنة الفلاحية 1863-1864م قد فتح المجال للعديد من الكتابات، وإذا لم تعط أهمية لهجوم جراد سنة 1865م فالأمر لم يكن نفسه سنة 1866م حيث أعطى الهجوم هذه السنة اهتمام بالغ وكثرت حوله الأحاديث لتطلق العنان للخيال وكثرت التفاصيل حول هذا الحدث عبر العديد من النواحي⁴. تعتبر مجاعة سنتي 1867م و1868م نتيجة سياسة الأرض المحروقة والجفاف واجتياح الجراد الذي هلك الزرع والخضر والفواكه وتسبب في موت المواشي من البقر والغنم والبهايم

¹ - مصطفى الأشرف، الجزائر: الأمة والمجتمع، تر: حنفي بن عيسى، دار القصة للنشر، الجزائر، (د ط)، 2007م، ص: 16.

² - الجيلالي الصاري، الكارثة الديموغرافية، المرجع السابق، ص: 203.

³ - عمار بوحوش، المرجع السابق، ص: 208.

⁴ - جيلالي صاري، الكارثة الديموغرافية، المرجع السابق، ص: 225.

حتى انخفاض سعر الغنم في بعض المناطق إلى فرنك واحد، وبالمقابل ارتفعت سعر المأكولات والمشروبات وهكذا بقي الجزائريون من غير موارد، واضطروا إلى أكل الحشيش ولحم القطط والكلاب واضطر الكثير منهم إلى نبش قبور الموتى لأكل لحومهم، وأما المعمرون فكانوا في مأمن من هذا البلاء، وعوض أن يقدموا لهم يد المساعدة طلبوا السلطات الفرنسية إبعادهم من مزابل مساكنهم حيث كانوا يبحثون على بقايا الأطعمة¹.

د- الأمراض والأوبئة:

نلاحظ أن جل الاجتياحات وقعت بداية من الشواطئ بعد نزول الأشخاص (الجنود على العموم) المصابين والقادمين من الموانئ الفرنسية فالمستشفيات والثكنات والسجون هي التي كانت مصدر انتشار الأمراض، ففي حصيلة سنة 1849م نجدها ثقيلة جدا وتخص على العموم مدنا وجهات عديدة، خربت وهران هكذا وتعدى فيها 209 ميتا يوميا (الأصنام وتنس وشرشال...)، وقد ضرب كالصاعقة من هنا دخل إلى منطقة الظهرة والونشريس². كانت الأمراض الأكثر انتشارا بين الجزائريين فهي ذات نوعين أمراض عادية متكررة ذات طابع موسمي، ترتبط بتغير المناخ تبعا للفصول، منها الأمراض: كالالتهابات الداخلية والأمراض الصدرية بسبب البرودة الشديدة، وكذلك أمراض العيون كالرمد والزهري وهي وراثية ومنتشرة كثيرا، كما سنجل انتشارا قويا لأمراض السفيليس، القروح والحمى العادية³.

¹ - عمارة عمورة، موجز في تاريخ الجزائر، دار ربحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 2002م، ص: 119-120.

² - جيلالي صاري، الكارثة الديموغرافية، المرجع السابق، ص: 191-192.

³ - فاطمة حباش، المرجع السابق، ص: 344.

وإلينا جدول توضيحي لأهم الأمراض بتيارت:

الفترة	مهم داخلي	التهار حالي	التهار	الحمى	الربو	الاسهال	الجروح	حصاة بولية	مسالك بولية	أنفلونزا حادة	سيفيليس
1857			1								
1862	16	30			37	06				17	
1863	39	06	25		26						
1864	19		29		14					13	
1865	137					20					46
1866	34				21		05			15	12
1867			02							2	
1869	06		08			11				11	

المصدر: حباش فاطمة، المرجع السابق، ص: 344-345.

1/ وباء الكوليرا:

وصل عدد الوفيات إلى 87 سنة 1866م مقابل 201 سنة 1867م، وهو ما يعادل تزايد بـ 131% إذ هذا التزايد ناقص من دون شك على النسبة الحقيقية ويرجع في جزئه الكبير إلى وباء الكوليرا، وكان الحد الأقصى قد تم بلوغه في أكتوبر، وهنا انتقلت آثار هذا الوباء في الزمن بالنسبة للمقاطعات الوسطى والشرقية للبلاد، أما في سنة 1868م فالتطور كان أخطر، لقد وصل مجمل إعلانات الوفيات إلى 1040 وهو ما يعادل تزايد بـ 417% وهي أعلى نسبة في مقاطعة وهران حيث ضيعت نسبة من سكانها الأصليين بسبب هذا الوباء¹.

¹ - جيلالي صاري، الكارثة الديموغرافية، المرجع السابق، ص: 195.

وهنا جدول يوضح تسجيل الولادات والوفيات في وهران:

السنة	الولادات	الوفيات	الحصر
1866	119	157	38
1867	84	397	313
1868	62	900	838
1869	101	166	65
1870	77	160	83
1871	64	280	216
المجموع	507	2060	-1563

المصدر: جيلالي صاري، الكارثة الديمغرافية، المرجع السابق، ص: 147.

2/ مرض السل:

ضرب هذا المرض البادية والقرى بشكل كبير حيث وصل عدد المسلولين بالقطر الجزائري 400.000 نسمة وكان يوجد في فرنسا 900 مستوصف صحي لأمراض السل بينما لا يوجد في الجزائر سوى 28 مستوصف فقط، وقد قال أحد الأطباء الأخصائيين الإداريين عن ذلك: "أن قطر الجزائر بملايينه العشرة من السكان، يحوي على نفس العدد من المسلولين الموجودين بفرنسا ذات الأربعون مليوناً"، بينما نجد الأطباء منعدمين في البادية ولا توجد أية وسيلة من وسائل الصحة¹.

3/ وباء التيفوس: مثل كل الأمراض المعدية فإن التيفوس ينتشر بسهولة إذا وجد الأرضية الخصبة وهو يعني حالة المجاعة وقلة التغذية، لاسيما وأن هذا الوباء يتزامن مع الفترة المناسبة، الشتاء والربيع².

¹ - أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، (د ط)، ملتزمة النشر والطبع، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2001، ص: 134-135.

² - جيلالي صاري، الكارثة الديموغرافية، المرجع السابق، ص 195.

أما أمراض العيون الفتاكة، فهي تذهب كل سنة بأبصار نحو ثمانين ألف من السكان المسلمين، ولا توجد في القطر الجزائري إلا مصحة واحدة أنشئت لمعالجة العيون، وست سيارات كبيرة متجولة¹، إضافة إلى هذا انتشر وباء الجذري الذي اكتسح العمالة وتسبب في وفاة الكثير وتزامن مع فترة الأزمة الاقتصادية فقد خلف هذا المرض في دائرة تيارت ما بين جانفي 1865م ومارس 1866م، 131 حالة².

نشر تقرير طبي من طرف بيربي في 1868م وقد جاء فيه ما يلي: "الأمراض التي تصيب العرب والصادرة عن الجوع هي الضنى الآتي من الجوع والذي يؤدي إلى اضطرابات خطيرة في المعدة وتكون أعراضه منتشرة، مثل أضرار المعدة التي كانت ميزة هذه الأمراض لأن التسربات الصعبة تشير إلى الحالة المتقدمة من هذا الضنى لقد ظهرت بعض الحفر في وادي سلي قرب الأصنام حالات البرسام والتهاب الرئتين الصادر عن سوء التغذية، مثل الأمراض العادية كالجذري وبوحمرون وبعد أمراض الجلد³.

من خلال التقرير الطبي ومما سبق يتأكد لنا أن الأمراض تتماشى مع المجاعة ويمكن القول بأن المجاعات تكون هي السبب الرئيسي للأمراض، وهذا ما جعل الإدارة الفرنسية بأن تقوم بسلب أراضي الجزائريين وطردهم منها لكي تستفيد منها وتدخل الجزائريين في دوامة وهذا ما ينتج عنه حتما مجاعات والتي هي السبب الرئيسي للأمراض والهدف هنا هو محاولة فرنسا القضاء على الجزائريين.

إنه من الطبيعي أن تكون أغلب الأمة الجزائرية مصابة بالأمراض المزمنة، بل العجب أنها لم تهلك تماما، ضحية الجوع والمهانة، وسكنى القبور القذرة، وقضاء الحياة بين أحضان اليأس والشقاء الأمة الجزائرية مريضة، والموت يحصد بين صفوفها حصادا ذريعا، حينما تجدد في

¹ - أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، المرجع السابق، ص: 134.

² - حباش فاطمة، المرجع السابق، ص: 345.

³ - جيلالي صاري، الكارثة الديموغرافية، المرجع السابق، ص: 373.

الإحصاء الرسمي أن معدل حياة الأوربي في قطر الجزائر هو 72 عاما، ونصف عام، في حين تجد معدل حياة الجزائري لا تتجاوز 50 سنة¹.

ويجب أيضا التأكيد على الوفيات العالية جدا في الوحدات التالية: وادي الشلف وأغلب نواحي المقاطعة الوهرانية، وبالأخص المجمع الجبلي غليزان عمي موسى، والسهول الجنوبية، وخلاصة القول هو أن الكوارث تعممت عبر كل النواحي باستثناء الجبال².

وهنا لدينا جدول يمثل المجموع الكلي للمقاطعات الثلاثة:

المقاطعات	المجموع	النسب المئوية
الوسط	200.000	%26.9
الشرق	220.000	%20
الغرب	400.000	%50
المجموع	820.000	%32.3

المصدر: جيلالي صاري، الكارثة الديموغرافية، المرجع السابق، ص: 180.

الملاحظ من خلال الجدول أن مقاطعة وهران تعد الأكثر تضررا من الكارثة بمقارنة بباقي المقارنات، إذ تمثل النسبة داخل هذه المقاطعة 50% يعني أنها لوحدها كانت تشكل تقريبا نصف حجم الكارثة والنصف الآخر تشكل من المقاطعتين (الجزائر وقسنطينة).

¹ - أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، المرجع السابق، ص: 133-134.

² - جيلالي صاري، الكارثة الديموغرافية، المرجع السابق، ص: 180.

الفصل الثالث:

انعكاسات السياسة

الاستعمارية الفرنسية وآثارها

على السكان بالقطاع الوهراني

إن فترة المقاومات الشعبية للاستعمار الفرنسي أثناء هجومه على الجزائر خلال القرن التاسع عشر ميلادي هي فترة زاخرة بالبطولات العظيمة للشعب الجزائري مما جعل قضية المقاومة مسألة وجود فتلك المقاومات الكبرى التي عرفها القطاع الوهراني كمقاومة الأمير عبد القادر والقيادات التي كانت معه من أعيان القبائل وشيوخ الزوايا والقيادات المقاتلة وكذلك الحال مع ظهور بعض الانتفاضات والثورات كمقاومة سي لازرق وثورة سي قدور ولد حمزة وثورة الشيخ بوعمامة بالجنوب الوهراني¹.

المبحث الأول: المقاومات الشعبية المناهضة للسياسة الاستعمارية في الغرب الجزائري - مقاومة الأمير عبد القادر:

ظهرت بالقطاع الوهراني عدة ثورات وشخصيات جزائرية التي كانت تغار على سيادتها وكرامة شعبها ومن هؤلاء نجد الأمير عبد القادر الذي ولد سنة 1807م بمدينة القيطننة التي تقع جنوب غرب معسكر وتبعد عنها بعشرين كلم وينسب الأمير عبد القادر ابن محي الدين ابن مصطفى إلى آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم²، حيث اشتهر بسمعته الحسنة وكان يرافق والده لفض عدة نزاعات بين القبائل، بعد أن أتم دراسته في معسكر وفي وهران، زار المشرق العربي واستقر حيناً من الزمن في القاهرة ودمشق وبغداد والسعودية ثم قام بأداء فريضة الحج رفقة والده عام 1825م³.

- مبايعة الأمير عبد القادر: بعد تقدم الشيخ محي الدين في السن رفض أن يتحمل عبئ المقاومة ومواصلة الجهاد بقيادته، فطلب الأهالي من الشيخ محي الدين بأن يبايعوا ابنه الشاب

¹ - علي كبريت، مقاومة ولاد سيدي منصور في جبل الناظور "وإبادة كاف السكومة جنوب تيارت 1864م"، (د ط)، دارالقدس العربي، وهران، 2014، ص: 21-22.

² - J, Pichon, abdelkader sa jeunesse son role politique et relegieux son rol militaire sa captivité sa mort (1807-1883), Henri Charles- lavauzelle Editeur militaire, Paris, p:11-12.

³ - منور العربي، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن 19م، (د ط)، دار المعرفة، الجزائر، 2006م، ص: 145.

عبد القادر فقبل رأيهم وقام زعماء القبائل بغريس وغيرها في منطقة معسكر بمبايعته على السمع والطاعة وعلى بذل أنفسهم وأموالهم وأولادهم في سبيل إعلاء كلمة الله والإسلام والوطن وذلك يوم 27 نوفمبر 1832م ولم يكن عمره آنذاك يزيد عن 24 سنة فبسط نفوذه على مختلف القبائل وأخضعهم له لمواجهة الفرنسيين، واتخذ مدينة معسكر عاصمة له وأخذ يبذل المحاولات ليقطع على الفرنسيين خطوط التموين إلى مراكزهم بوهران¹.

- معاهدة ديميشال 1834م:

استطاع الأمير عبد القادر بفضل جيشه الذي بلغ قرابة 60 ألف رجل أن يوجه ضربات قاتلة لجيوش الاحتلال، الأمر الذي مكّنه من نشر الأمن والثقة بالنفس في ربوع دولته مما حمل الاستعمار الفرنسي على إبرام معاهدة ديميشال (Dixmichels) والتي دامت من 04 فيفري إلى 26 فيفري 1834م² حيث كان ديميشال والأمير عبد القادر يتنازعان عن مدينة مستغانم التي وقعت في أيدي الفرنسيين وكذلك أرزيو³، وجاء في مضمون هذه المعاهدة التزام الطرفين على وقف القتال والاعتراف بسيادة الأمير عبد القادر على منطقة الغرب الجزائري باستثناء مدن وهران ومستغانم، وأرزيو⁴، بالإضافة إلى احترام دين وعادات المسلمين وحمايتهم، وتبادل الأمير عبد القادر وديميشال الأسرى فيما بينهما، ومنح حرية التجارة ورد العسكريين الفرنسيين الهاربين يجب على الأمير ردهم إلى الفرنسيين كما يقوم الفرنسيين بتسليم كل من يفر إليهم من العرب⁵.

¹ - يحيى بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين 19م-20م، ثورات القرن 19، عالم المعرفة، النشر والتوزيع، ط خ، الجزائر، 2009م، ص: 36-37.

² - منور العربي، المرجع السابق، ص: 152.

³ - بوعلام بسايح، أعلام المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي بالسيف والقلم، 1830م-1954م، م 1، تع: خليل أحمد خليل، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، ط خ، الجزائر، 2010، ص: 23.

⁴ - منور العربي، المرجع السابق، ص: 153.

⁵ - بوعلام بسايح، المرجع السابق، ص: 27.

على إثر توقيع هذا الصلح حصلت فترة هدوء في مقاطعة وهران تمكن الأمير خلالها من توسيع نفوذه وأدخل كثيرا من القبائل تحت سيطرته، بل أن ديميشال (Dixmichels) أمده بكميات محدودة من السلاح وعدد من المدربين لتدريب قواته العسكرية وأما الأمير فقد استغل هذه المعاهدة باهتمامه بمنطقة الشرق الجزائري والمناطق المحيطة بالجزائر العاصمة فاستولى على المدينة أفريل 1835م وعلى مليانة واستولى على واحة بسكرة في الجنوب الشرقي، رغم تقدم الأمير فقد اعترضته عدة مصاعب من بعض القبائل وخاصة الدوائر والزمالة¹ بالإضافة إلى قيام قادة الاحتلال على رأسهم تريزال (Trezel) بنقض بنود المعاهدة وذلك من خلال تحريض بعض القبائل على التمرد على الأمير وتوفير الحماية لهم² فاعتبر الأمير ذلك نقضا للمعاهدة وطلب من تريزال (Trezel) أن يرفع حمايته عن هذه القبائل يعيدها إلى سلطته ولكن هذا الأخير رفض ذلك حتى يكون مبررا لنقض الصلح³.

معركة المقطع 26 جوان 1835م:

لم يرضى كبار المسؤولين الفرنسيين بمعاهدة ديميشال المنعقدة بين الأمير عبد القادر وقائد إقليم وهران تريزال (Trezel) بالنتائج التي حققتها هذه المعاهدة⁴، حمل الأمير عبد القادر مسؤولية الحرب لتريزال وواجهه في حرش مولاي إسماعيل قرب مدينة السيق يوم 26 جوان 1835م حيث تكبد فيها الفرنسيين خسائر مادية قدرت بـ 500 جندي فرنسي وأكثر من 1000 جريح⁵ كما استفادت قوات الأمير عبد القادر من غنائم معتبرة (المؤن، السلاح، الذخائر) عبر الجنرال تريزال (Trezel) في رسالة وجهها إلى الوالي العام تضمنت ما يلي:

¹ - يحيى بوعزيز، ثورات القرن 19م، المرجع السابق، ص: 39.

² - منور العربي، المرجع السابق، ص: 153.

³ - يحيى بوعزيز، ثورات القرن 19، المرجع السابق، ص: 40.

⁴ - بسام العسيلي المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي 1830م-1838م، دار النفائس، ط 1، بيروت، 1980م، ص: 93.

⁵ - منور العربي، تاريخ المقاومة، المرجع السابق، ص: 155-156.

"لقد أخفت هذه المعركة المهلكة آمالا كانت تبدو معقولة لكنه كان من الضروري الحصول على النصر، ليس من شك أني بالغت في تقدير قوتي كما بالغت في عدم تقدير قوة العرب ومهما يكن من شيء فإنني أعاني م ثقل المسؤولية التي أقدمت على تحملها...."¹.

عملت الحكومة الفرنسية على تخفيف الصدمة الكارثة وتهدة الرأي العام الفرنسي فعزلت الحاكم العام ديرلون (Dérion) وتريزال (Trezel) حاكم وهران معا واستدعتهما من الجزائر وعينت المارشال كلوزيل (Clauzel)* حاكما عاما على الجزائر في جويلية 1835م وظف كل جهوده لإضعاف قوات الأمير عبد القادر، قام بمهاجمة مدينة معسكر في ديسمبر 1835م لكن الأمير عبد القادر تفتن للمكيدة فأخلى المدينة قبل أن يصلها العدو الذي قام بالنهب والسلب بعد وصوله إليها، كما قام كلوزيل (Clauzel) بمهاجمة مدينة تلمسان التي كانت مستقلة عن سلطة الأمير وذلك يجعلها قاعدة عسكرية تقوم بمراقبة الحدود المغربية ومنع وصول الأسلحة منها إلى الأمير.

¹ - يحيى بوعزيز، ثورات القرن 19، المرجع السابق، ص: ص: 40-14.

*كلوزيل bertrand clauses ou clauzel: مارشال فرنسا، من مواليد ميرو بواكس miropoix (1772م-1842م) قائد الجيش الفرنسي ثم حاكم الجزائر وهو الذي استولى على معسكر 1835م، وكان كلوزيل من قادة نابليون بونابارت، ثم اتفق مع بورمون على خيانة سيدهما بونابارت، والتآمر مع الانجليز ضده، مما ساعد إنجلترا والحلفاء على النصر واشتهر بالغدر والخيانة، وكان من أشهر الخرضين على الاحتفاظ بالجزائر، أنظر: بسام العسيلي، المرجع السابق، ص: 85.

معاهدة وادي التافنة 30 ماي 1837م:

كانت الحملتان الفرنسيتان على معسكر وتلمسان قد آلتا إلى إقناع الأمير بضرورة وضع تمويناته وخطوطه الدفاعية في قرى بعيدة عن الساحل، وحتى قبل معاهدة تافنة، أخذ الأمير عبد القادر يحصّن تاقدمت واسوارها التي كان يرمي إلى جعلها عاصمة له¹.

اصطدمت الحكومة الفرنسية لدى وصول أخبار هزائم قواتها في الجزائر فأسّرت بعزل كلوزيل (Clauzil) وعينت الجنرال بيجو (Bugeaud) مكانه، ودعا هذا الأخير إلى مؤتمر يوم 30 ماي 1837م، وحضر هذا الاجتماع شيوخ القبائل وزعماء الفرسان العسكريين والأعيان في إقليم وهران، فكان منهم من يريد عقد الصلح مع الفرنسيين ومنهم من كان معارض لهذا الصلح²، وبعد التوقيع على الاتفاقية في 30/05/1837م، كتب الجنرال بيجو (Bugeaud) إلى وزير الحرية الرسالة التالية: "إنكم معتقدون أنه يؤمني جدا أن أعمل أفكارى بعدم إتباعي تعليماتكم بالنظر إلى الحدود المعينة للأمير... وتيقنوا أن الصلح الذي عملته هو الأحسن والأرجح أن يكون طويل المدة..."³.

ومما جاء فيها:

- اعتراف الأمير عبد القادر السيادة الفرنسية على مدينتي الجزائر ووهران.
- اعتراف فرنسا بإمارة الأمير على إقليم وهران وإقليم التيطري.
- دفع الأمير للفرنسيين مقدار من الحبوب وعدد من الأبقار في مدينة وهران على ثلاثة مراحل.
- لكل من فرنسا والأمير أن يعيّن ممثلين عنه في مدن الطرف الآخر.
- يمكن للأمير أن يشتري من فرنسا ما يحتاجه من أسلحة والذخائر.

¹ - بوعلام بسايح، المرجع السابق ص: 47.

² - بسام العسيلي، المرجع السابق، ص: 122-123.

³ - بوعلام بسايح، المرجع السابق، ص: 51.

استغل الأمير عبد القادر فرصة السلام التي أعقبت معاهدة تافنة وأخذ يرسي نفوذه وسيطرته، حيث أنه أخضع معظم إقليم وهران واليطري، كما قام بتأديب القبائل التي امتنعت على دفع الزكاة، كما اهتم بالجانب العمراني والبناء وتنظيم الجيش وتسليحه وتشديد عدد من الحصون والقلاع، كما اهتم كذلك بالتعليم وتشجيع الأهالي على الزراعة¹.

ظهور ابن علال وابن التهامي بأعالي واد أرهيو 1843م:

بعدما قام بيجو (Bugeaud) بتطويق الوشريس وإخضاع قبائلها بالقوة وتشكيل جبهة عسكرية من السكان لمواجهة الأمير عبد القادر، لكن لم تنجح سياسة بيجو وفشلت سياسته التي بناها بفواحات المدافع وعصا القمع، ففي 1843/07/03م علم بيجو (Bugeaud) بظهور ابن علال وابن التهامي، خليفتي الأمير عبد القادر بأعالي مجرى واد أرهيو جنوب شرق مركز عمي موسى، لإعادة رص الصفوف وبعث روح الجهاد في نفوس سكان القبائل التي غزاها بيجو (Bugeaud) وأفسد ظهور هذين القائدين أوراق سياسة بيجو فكلف بيجو لمواجهة هذين القائدين المقدم "لفلو" (Leflo) لقيادة الفيلق الثاني فتحرك لفلو لتقصي أثر ابن علال الذي ارتحل من وادي أرهيو وبعد أن اجتاز لفلو ساعة من الزمن اصطدم بمحلة الخليفتين المتشكلة من 1200 مجاهد كانوا قد اتخذوا مواقع ثابتة التي بادر منها رجال ابن علال أعداءهم بنيران كثيفة، ولما تأزم الوضع رأى لفلو ضرورة تنظيم هجوم مضاد بعد أن تدعمت صفوفه ورأى في الانسحاب فشل ذريع وخسارة مؤكدة لا محال² فاشتد القتال بين الطرفين لعدة ساعات ووقع الضرب والصدمات بين الطرفين وتداولت المصادمة لمدة خمسة ساعات، وانتهت المعركة بين الطرفين بخسائر كبيرة في الأرواح، وذكر الطرف الفرنسي بفقدان

¹ - يحي بوعزيز، ثورات القرن 19م، المرجع السابق، ص: 43-44.

² - محمد لحسن، تاريخ إقليم عمي موسى، القرنين 19م-20م، (د ط)، دار أم الكتاب للنشر والتوزيع، مستغانم، الجزائر، 2010م، ص: 38-39.

عسكريين إثنين، و24 جريحاً، منهم 3 ضباط في حين خسر ابن علال حسب الفرنسيين 20 قتيل وعدد من الجرحى¹.

مقاومة أولاد سيدي الشيخ (1864م-1880م):

في عام 1864م اندلعت ثورة أولاد سيدي الشيخ، فرع الشراقة، بالجنوب الوهراني، وكانت دوافعها كالعادة الأوضاع المتدهورة والظلم الاستعماري²، ويعد السبب المباشر لهذه الثورة هو ما حدث يوم 29 جانفي 1864م حين اجتمع سي الفضيل ابن علي خوجة (كاتب الباشاغا سي سليمان)، وعدد من أفراد عائلة أولاد سدي الشيخ في ساحة قرية البيض وأخذوا يلعبون لعبة "الهف" وهي لعبة ذات شهرة، ومنتشرة كثيراً في معظم مناطق الجنوب الوهراني، وكان حاضراً معهم في الساحة عدد من الصباحية التابعين للمكتب العربي بالبيض وخلال اللعب تدخل أحد من الصباحية لصالح بعض اللاعبين فغضب عليه سي الفضيل ونهره، وأدى ذلك إلى حصول مشاهدات كلامية ومشاجرة بينهما أدت إلى تدخل كل الصباحية وقيامهم بضربه بالعصي والأرجل أمام الملاء ولم يكتفوا بها فافتادوه إلى مقر المكتب العربي، حيث أتبّه الضابط الفرنسي وانحاز إلى جانب الصباحية³ فعقد سي سليمان ابن حمزة مجلساً حربياً مع أفراد عائلته، وأعلنوا خلاله الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي، وكلفوا سي الفضيل بكتابة الرسائل إلى الزوايا والقبائل والعروش يحثهم فيها على الجهاد والالتحاق بالثورة في أسرع وقت وانظم إلى حركته العديد من العروش من بينهم: عمه سي الأعلى قائد أغوية ورقلة بالصحراء الشرقية والذي لعب دوراً فعالاً في ثورة أولاد سيدي الشيخ، ومكان أول لقاء بالعدو يوم 08 أفريل 1864م في معركة عوينة بوبكر شرق البيض أين قام المجاهدون بهجوم مفاجئ على مخيم الجيش الفرنسي وتكبد خلالها العدو خسائر فادحة في الأرواح، حيث لم

¹ - محمد لحسن، المرجع السابق، ص: 40.

² - منور العربي، المرجع السابق، ص: 211.

³ - يحيى بوعزيز، ثورات القرن 19م، المرجع السابق ص: 178

ينجوا منها حتى قائدهم بوبريتز (Beauprêtre) الذي قتل على يد سي سليمان بن حمزة قائد الثورة ولكن هذا الأخير قتل بدوره في نفس اللحظة من طرف حراس العقيد¹.

ظهور سي لزرق في فليطة:

اندلعت ثورته في فليطة في جبال الونشريس وفي حوض الشلف إلى شمالها بزعامة المتصوف سي لزرق بلحاج الذي ينتسب إلى الطريقة القادرية، وجند سي لزرق بلحاج عددا كبيرا من الأنصار، واصطدم بقوات الجنرال مارتينو (Martineau) يوم 27 أبريل 1864م وخاض ضده معركة خنقة العازر، وقتل له تسعة ضباط و68 جنديا، وجرح 39 جندي، بينما قتل من الثوار حوالي 400 رجل حسب رواية لاباسي (lapassit) وبعد معركة خنقة العازر ومعركة زمورة جنوب شرق غليزان انسحب سي لزرق إلى فليطة وجند هنالك حوالي 64 دوارا ودفعهم إلى الثورة وساند ثوار أولاد سيدي الشيخ الآخرين، فأصبحت قرية غليزان مفتوحة أمام الثوار من كل جهة ما جعل الأوربيون من أن يفروا من كل القرى الممتدة بين غليزان وواد أرهيو وقد تمكن سي لزرق من تخريب معسكر الرحوية الفرنسي على غرار معسكر عمي موسى وواد أرهيو يوم 20 ماي 1864م، وواصل نشاطه العسكري حتى قتل في معركة ظهرة عبد الله يوم 08 جوان 1864م التي خاضها أمام الجنرال روز (Rouz) الذي كان مكلفا بملاحقته بفليطة².

بعد توغل الاستعمار الفرنسي في الغرب الجزائري وانتهاجه لكل سياسات الجور والظلم والتعسف كان لابد من ظهور مقاومات وقادة مناهضين للاستعمار الفرنسي محاولين استعادة أرضهم وكرامة شعبهم، لكن بالرغم من كل ذلك كانت تلك المقاومات تفتقد إلى التنسيق فيما بينهما، كما ظهرت هذه المقاومات في فترات متباعدة.

¹ - منور العربي، المرجع السابق، ص: 211-212.

² - يحي بوعزيز، ثورات القرن 19م، المرجع السابق، ص: 185-186.

المبحث الثاني: تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للسكان

واجهت السلطات الاستعمارية عدة مشاكل وصعوبات لتحقيق الاستعمار غداة الحملة على الجزائر، ومن بين تلك المشاكل مشكلة الضرائب، فقد سعوا في وضع عدة دراسات وتقارير للمختصين في اختصاص المالية لتنظيم الضرائب المتعلقة بالأهالي.

كان ميلاد الضريبة* العربية سنة 1845م التي تقبض من طرف الفرنسيين وبالضبط في عهدي الجنرالين بيجو (Bugeaud) و كلوزيل (Clauzel)، حيث ابتداء من عام 1845م لم تعد الضريبة تدفع نقدا من طرف الأهالي، بحيث تتشكل الضرائب بموجب الأمر الصادر 17 جانفي 1845م مما يلي:

الحكور (أي إيجار أراضي العزل)، العشور (وهي الضريبة على الحبوب)، الزكاة (وهي الضريبة على الحيوانات)، الزمة (وهي ضريبة كانت تدفعها القبائل الصحراوية قبل إلغائها سنة 1858م، ثم أضيف إليها ضريبة أنشئت في 18 جوان 1858م وهي ضريبة على الرؤوس وهي خاصة ببلاد القبائل، أو ما يدعى بالزمة القبائلية)¹.

عند اعتلاء راندون (Randon) منصب الحاكم العام قرر مواصلة مشروع بيجو (Bugeaud) في الجزائر، وأعطى اهتماما للمسألة المالية وتنظيمها²، كان لديه هدف وطموح وهو أن يجعل ميزانية خاصة ونظام مالي مستقل للمستعمرة³.

*الضريبة: لعلّ مثال بسيط يكشف النقاب على مدى ثقل الضرائب التي ينوء به كاهل الأهالي، من الضرائب التي تفرض عليه بشكل اعتباطي والتي تتماشى مع بيئته التي ألقى العيش فيها: عندما تقدم عائلة مسلمة على إقامة حفل زفاف تفرض عليها الإتاوات والرسوم التالية: تدفع ستة فرنكات للقاضي منها خمسة فرنكات للحصول على العقد (شهادة عقد الزواج) وواحد فرنك لترجمة العقد علاوة على عشرة فرنكات تدفع إلى الصندوق البلدي وخمسة فرنكات مقابل خدمة الحراسة التي يقوم بها الحرس البلدي والمعروف أن هذه الرسوم والإتاوات تضاف إلى الأعباء والواجبات التي تقدمها العائلة بناء على مقتضيات الشريعة الإسلامية أو الأعراف والتقاليد المحلية. انظر: نور الدين ثنيو، المرجع السابق، ص: 95.

¹ - شارل رويير أجيرون، الجزائريون المسلمون، ج 1، المرجع السابق، ص: 463.

² - فاطمة حباش، المرجع السابق، ص: 195.

³ - أحمد مهساس، الحقائق الاستعمارية والمقاومة، منشورات وزارة المجاهدين، (ط خ)، دار المعرفة، (د ت)، ص: 170.

كما حاول راندون (Randon) أن يحدث توازن بين المصاريف والمداحيل، بحيث شكل في 1852م لجنة مكونة من ضباط ساميين للبحث في التنظيم المالي. لقد خضع الجزائريين إلى نظام ضريبي قاس أثقل كاهل الأهالي وزاد من معاناتهم، بحيث كانت ميزانية الخزينة الاستعمارية تستمد مواردها من جباية الضرائب من الأهالي، حيث يذكر ريتشارد (Redchard) "الضريبة التي كانت المكاتب العربية تستخلصها من القبائل تشكل ثلث ما ينبغي أن يكون بالنسبة لثروات الأرض" وبالرغم من المجاعات والأزمات الاقتصادية والأوبئة التي كانت تأتي على السكان فإن الإدارة الاستعمارية لم تكثر لهم، وضلت تفرض الضرائب التي تفوق إمكانياتهم، حيث أن الظلم بلغ أوجه عندما أصبح الخماسون مجبرون على دفع 12.5 فرنك للمحراث¹، حيث أن مقاطعتي الجزائر ووهران كانتا تخضعان إلى العشور والزكاة بالإضافة إلى اللزمة في المناطق الصحراوية.

على مستوى عمالة وهران، قدر المعدل السنوي لحجم الضرائب العربية بين 1880-1899م، بحوالي 3.431.291 فرنك فرنسي (1.809.844 فرنك بالنسبة للعشور و1.621.447 فرنك بالنسبة للزكاة) مع إضافة ضرائب أخرى قدر حجمها السنوي بـ 768.536 فرنك فرنسي²، وهكذا ازداد حجم الضرائب وأخضعت بلديات الفلاحين لعبئ ضريبي³، وذلك بتطبيق مرسوم 20 سبتمبر 1886م، والذي رفع نسبتها من 11% إلى 13%⁴، ومع دخول سنة 1901م تعدى قسم الضرائب العربية بالنسبة لميزانية عمالة الغرب الجزائري إلى 50%، إذ انخفض إلى 41.51% عام 1906، وإلى 32.13% عام 1909م

¹ - فاطمة حباش، المرجع السابق، ص: 195.

² - صالح فركوس، إدارة المكاتب والاحتلال الفرنسي للجزائر في ضوء شرق البلاد 1844-1871م، (د ط)، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، 2006م، ص: 207-208.

³ - عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق، المرجع السابق، 127.

⁴ - إبراهيم مهديد، القطاع الوهراني، المرجع السابق، ص: 26.

ليصل إلى 27.22% عام 1914م، وتحدد الإحصائيات العامة للجزائر رسميا تطور هذه الضرائب العربية في عمالة وهران، ما بين 1895م و1905م¹، والجدول التالي يوضح ذلك:

السنوات	زكاة	عشور	مجموع الضرائب
1895م	1.507.503 فرنك	1.833.990 فرنك	3.341.493 فرنك
1896م	1.564.688 فرنك	1.550.913 فرنك	3.115.601 فرنك
1897م	1.662.310 فرنك	1.192.769 فرنك	2.855.079 فرنك
1898م	1.495.113 فرنك	1.848.744 فرنك	3.343.857 فرنك
1899م	1.586.993 فرنك	1.404.751 فرنك	2.991.744 فرنك
1900م	1.436.752 فرنك	2.192.821 فرنك	3.629.533 فرنك
1901م	1.526.294 فرنك	2.116.622 فرنك	3.643.080 فرنك
1902م	1.727.248 فرنك	2.035.804 فرنك	3.763.217 فرنك
1903م	1.904.126 فرنك	1.675.839 فرنك	3.580.129 فرنك
1904م	1.676.910 فرنك	2.502.072 فرنك	4.178.982 فرنك
1905م	1.601.483 فرنك	1.584.890 فرنك	3.186.373 فرنك

المصدر: إبراهيم مهديد، القطاع الوهراني، المرجع السابق، ص: 28.

لم يشرع الأهالي في دفع الضرائب نقدا، إلا بدءا من سنة 1845م، وذلك بموجب القرار الملكي، من المادة 02 حيث التزمت مقاطعتي الجزائر، ووهران بدفع ضرائب العشور والزكاة²:

1- العشور:

ضريبة على الحصاد وما تنتجه الأرض بنسبة العُشر، كان يتم حسابها وفق عدد المحارث المسخرة للزراعة، وثبتت السلطات لاستعمارية المحراث كقاعدة لضبط حساباتها وهي

¹ - إبراهيم مهديد، القطاع الوهراني، المرجع السابق، ص: 27-28.

² - عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق، المرجع السابق، ص: 125.

تقدر حسب المناطق وحسب السنوات وهي كما يلي: 25 فرنك، 20 فرنك، 12.5 فرنك، 10 فرنك، 06 فرنك، 05 فرنك، 04 فرنك إلى غاية 03 فرنك في منطقة القبائل الصغرى، ويعود حساب العُشر في عمالة الجزائر ووهران إلى عهد الأمير عبد القادر، لقد كانت تحسب بعدد المحارث عموماً، وكان يقدر الهكتار الواحد بـ 20 فرنك، الأمر الذي جعل الضريبة ثقيلة على الجزائريين، باعتبارهم يحرثون خلال الفصل 70 هكتار، دون قياس المردود، وكميات المحصول، ومنذ سنة 1867م أصبحت تحسب معدلات أسعار القمح والشعير بالنسبة للعمالتين (الجزائر ووهران) كما يلي: 20 فرنك لقنطار القمح، 10 فرنك لقنطار الشعير، وفي سنة 1858م استثنى الخماسون العاملون في الأراضي التي يمتلكها الأوربيون من دفع الضرائب بلغت قيمة ضريبة العشور لوحدها والمستخلصة من أراضي الأعراش ما مقداره 45 فرنك، وهنا يعرف سبب إجماع جل مشاريع إصلاح الضرائب العربية¹.

أصبحت هذه الضرائب العربية تؤمن مداخل الاستعمار الاستيطاني، حيث أن في سنة 1900م أعطي المعمرون حق الإشراف على الميزانية في الجزائر، ومنحهم السلطة على الشؤون الاقتصادية والاجتماعية، إذ اعتبر انتصاراً للجزائر الفرنسية، كما منح هذا الحكم للكولون سلطة كاملة على الجزائريين، فكان نكسة قاسية لهؤلاء²، بحيث أصبحت القبائل مجبرة على تسويق قسم من إنتاجها لدفع الضريبة³، وقد وضعنا جدول يوضح قيمة الضرائب التي مسّت بعض القبائل في منطقة سيدي بلعباس ما بين 1867م إلى غاية 1897م

¹ - حباش فاطمة، المرجع السابق، ص: 195.

² - إبراهيم مهديد، القطاع الوهراني، المرجع السابق، ص: 129.

³ - بعلبكي أحمد، المسألة لزراعية أو الوعد الراقد في ريف الجزائر، منشورات عويدات، بيروت، 1985م، ص: 11.

جدول يوضح قيمة الضرائب التي مست بعض القبائل في منطقة سيدي بلعباس ما بين 1867-1897م

القبيلة	1867م	1897م
أولاد العباس	29.163 فرنك	34.840 فرنك
أولاد أحمد	11.950 فرنك	17.030 فرنك
عكرمة الشراقة	22.904 فرنك	29.824 فرنك
المحال	14.404 فرنك	26.268 فرنك
أولاد سلامة	9.217 فرنك	7.589 فرنك
أولاد خويدم	30.214 فرنك	19.049 فرنك
أولاد سيدي بو عبد الله	15.783 فرنك	13.465 فرنك

المصدر: أحمد بعلبكي، المرجع السابق، ص: 11

كما تقوم المكاتب العربية بإنشاء القوائم والتي تفتح في بداية السنة، ويشرع في تنفيذها في شهر ماي وفق معيار نوعية الأرض والمحصول، يقسم إلى ثلاثة أصناف: جيد جدا، ضعيف، منعدل، وعليه التحصيل يكون وفق هذا التقسيم، ويقوم رؤساء الأعراس والقياد بجمع الضرائب تحت إشراف قايد، الذي ينقلها إلى الشيخ، وينقلها هو بدوره إلى القابض على مستوى المكتب العربي، فيضعها في خزانة القسمة، فالمقاطعة إلى أن تصل إلى الخزانة المركزية¹.

2- الزكاة:

ضريبة على الأنعام (الجمال، البقر، الغنم، المعز) وتختلف مبالغها باختلاف أنواع الحيوانات، وهذا إلى غاية 1863م، وهو التاريخ الذي تم فيه توحيد السعر كالتالي: 04 فرنك على الجمال، 03 على البقر، 0.5 فرنك على الغنم، 0.2 فرنك على المعز، ولم تفرض ضريبة الزكاة على القطر الجزائري إلا بعد سنة 1858م²، وفي حالة إصابة المواشي بأمراض أو التعرض

¹ - فاطمة حباش، المرجع السابق، ص: 196.

² - شارل روبر أجيرون، المسلمون الجزائريون، ج 2، المرجع السابق، ص: 466.

لظروف طبيعية صعبة كالجفاف، وسقوط الأمطار مما يؤدي إلى نقص المراعي والعلف وانتهائها إلى الهلاك والوفاة، فإن هذا يرفع إلى السلطات العليا بواسطة، تقارير المكاتب العربية وعليه يتم الأخذ بعين الاعتبار، حيث أنّ في هذا الوضع تخفّض الضريبة، ومثلما تسجل المكاتب العربية في تقاريرها الوضع السيئ في ثروات القبائل نجدها تسجل التحسن في الوضع، مما يحمس الجهات المعنية إلى رفع مستوى الضريبة، كما ورد في إحصائيات الجزائر لسنة 1862م بحيث أضيف 0.18 فرنك من الزكاة والعشور على حد سواء، حيث زادت نسبة الأغنام والمعز بـ 0.05 فرنك¹.

تعتبر الزكاة هي الضريبة الوحيدة التي لم تثر جدلا حولها، لأنها كانت تدفع وفق تعريفه خاصة بالولايات الثلاثة (الجزائر، وهران، قسنطينة) وبدون استثناءات، حيث كان الأهالي الفقراء دائما يحتجون حول ارتفاع ضريبة الغنم والمعز².

في الوقت الذي كان فيه المستوطنون يتلقون الدعم الكامل من دولتهم ومعفّون من كل الضرائب والرسوم، كان الفلاح الجزائري رغم وضعيته المزرية يخضع لقوانين جائرة، فكان يدفع الضرائب على محاصيله الزراعية رغم قلتها، حيث كان الهدف من ذلك إجباره على ترك أراضيه، حتى وهي جبلية، كذلك في الوقت الذي كان فيه الفلاح المعمر يستفيد من القروض الزراعية، كان الفلاح الجزائري يدفع الضرائب، وهذه الوضعية هي الأخرى كذلك سمحت للمستوطن أن يواجه الكوارث الطبيعية، كالجفاف أو المجاعة أو الجراد في حين تركت الفلاح الجزائري يعاني نتائجها الوخيمة، المنعكسة سلبا على وضعيته الاجتماعية، مما دفعه إلى أن يتحول أجيرا عند المعمر بعد أن كان مالكا لأرضه، حيث يروي النائب الفرنسي أوغيست

¹ - فاطمة حباش، المرجع السابق، ص: 197.

² - توفيق دهماني، الضرائب في الجزائر، 1206-1282هـ/1792م-1865م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة يوسف بن خدة، الجزائر، 2007م-2008م، ص: 546.

بيرودا بتقريره الذي رفعه إلى مجلس النواب في الجزائر 04 ديسمبر 1891م ما يلي: "عندما دخلت في حياة هؤلاء الفلاحين الذين يعيشون في اقتصاد اكتفائي أدى هنا التدخل السريع لتفكيك الأطر الصارمة، لنمط حياتهم البدائية، فمنذ ذلك اليوم الذي فرض عليهم انسجاما مع فضائل التحضر، دفع الضريبة مقابل فتح الطرق وتشديد المستشفيات والمدارس... إلخ انتقلوا أوتوماتيكيا إلى اقتصاد حر، وانعدمت مقومات المقايضة إذ ما حل الجفاف أو كان الموسم اللاحق سيئا، فإن الكفاية تصبح مستحيلة، ويبدأ مسلسل النكبات من تسليفات، فوائد، قروض، وأخيرا مصادرة الأراضي وبيعها وطردهم الفلاح منها¹.

الأراضي	ولاية وهران	ولاية الجزائر	ولاية قسنطينة
المدنية	الزكاة	الزكاة	الزكاة
	العشر	العشر	العشر
	العشر	العشر	الحكر
	العشر	لزمة القبائل الكبرى	الحكر
	العشر	لزمة القبائل الكبرى	اللزمة الثابتة
	العشر	لزمة القبائل الكبرى	اللزمة البينية
	العشر	لزمة القبائل الكبرى	لزمة النخيل
العسكرية	الزكاة	الزكاة	الزكاة
	العشر	العشر	الحكر
	العشر	العشر	العشر
	اللزمة الثابتة	اللزمة الثابتة	اللزمة الثابتة
	اللزمة الثابتة	لزمة النخيل	لزمة النخيل

المصدر: عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق، المرجع السابق، ص: 126.

¹ - بعلبكي أحمد، المرجع السابق، ص36.

تعد حركة الهجرة* التي عرفتتها مختلف التجمعات السكانية بمختلف فئاتها وأعمارها في القطاع الوهراني أثناء فترة الاحتلال بأنها ظاهرة حتمية كانت نتيجة لعدد من الأسباب (الاقتصادية، الاجتماعية، والعسكرية، والتعليمية) التي دعمتها إجراءات وقوانين كانت سلبية على الجزائريين، وتمثلت تلك الهجرة في انتقال السكان سواء كأفراد أو جماعات من منطقة إلى أخرى وانقسمت بدورها إلى هجرات داخلية وهجرات خارجية:

المبحث الثالث : هجرة السكان

1- الهجرة الداخلية:

لقد عانى الفلاحون من الأوضاع المزرية بسبب حدوث المجاعات، وانخفاض المحاصيل الزراعية وتعرضهم لتشريعات عقارية قاسية أدت إلى تحطيم أوضاعهم الاقتصادية، مما تسبب في بيع ما تبقى من الأراضي، والذهاب إلى المدن مثل ما حدث لقبائل الحشم بغريس وبني عامر ببلعباس وعين تموشنت¹، وقد كان لمجاعة 1867م أثر كبير على سكان الأرياف حيث جمعت الإدارة الاستعمارية في مستغانم 1270 من الرجال والنساء والأطفال ما بين 30 سبتمبر إلى 4 أكتوبر 1867م ممن هجروا الريف، وفي دائرة وهران تم جمع 2500 فرد جاؤوا من عدة مناطق (مستغانم، معسكر، قديل)².

*الهجرة: في نظر الدولة الألمانية هي مغادرة البلد والاستقرار خارجه بصفة مستمرة إن لم تكن نهائية. وتطلق دولة استراليا كلمة مهاجر على كل من تغرب بصفة نهائية، وتعتبر النمسا مهاجرا كل من ترك البلد واتخذ مسكنا دائما بالخارج أو من سافر إلى الخارج بحثا عن عمل، وتتفق كل من الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وفرنسا على أن المهاجر هو كل شخص يترك بلده بنية الإقامة الدائمة في الخارج، وتعرف كل من فنلندا والصين وبولونيا وإيطاليا واليابان المهاجر بأنه ذلك الذي يبحث عن عمل في الخارج، أما المهاجر في نظر اسبانيا بلجيكا واليونان فهو ذلك الذي يركب الدرجة الثالثة عند سفره من بلده، وهناك دول كثيرة مثل سويسرا ترى أن الانتقال في مجال الدول الأوربية ليس هجرة ألا إذا كان خارجها. أنظر: عبد الحميد زوزو، الدور السياسي للهجرة إلى فرنسا ما بين الحربين 1919-1939، (د ط)، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، الجزائر، 2007، ص: 11.

¹ - بليل محمد، المرجع السابق، ص: 165.

² - عبود علي، المرجع السابق، ص: 110.

أدت تلك المجاعة لزعزعة داخل الأرياف إذ فرّ الكثير منهم جماعات جماعات من بواديهم قاصدين المراكز الحضرية¹، كما يمكننا القول بان بعد فقدان الجزائريين لأراضيهم بسبب الاستعمار الاستيطاني وبقوا في اغلب الأحيان عمالا فلاحين، كما أن التوزيع الغير متكافئ للميزانية التي كان الجزائريون يدفعون لها الكثير، كلها عوامل جعلت سكان الأرياف يفرون منها نحو المدن لإيجاد سبل عيش أفضل².

أضحى لسياسة المستعمر أثر كبير على أبناء البلد الأصليين بالجزائر حيث أن تجريدهم من الأراضي الخصبة قد قلل من دخلهم وجعلهم يتألمون جوعا، وهكذا اقتضت الضرورة البحث عن لقمة العيش في مكان آخر بالنسبة لعدد كبير من الجزائريين الذين أصبحوا عاطلين عن العمل بعد حرمانهم من أراضيهم التي كانوا يقومون باستغلالها، وكانت دائما في البداية الهجرة من الريف إلى القرية الصغيرة أو المدينة الكبيرة لمن يبحث عن عمل في الصناعات الصغيرة التي أقامها رجال الأعمال الأوربيين بفضل المساعدات والمنح التي قدمتها الحكومة الفرنسية كمساهمة منها لاستيطانهم في المدن الصغيرة وازداد مشكل الفلاح الجزائري تعقيدا بسبب المنافسة القوية التي بدأت تظهر بين القطاع الفلاحي العصري الذي يتميز على القطاع الفلاحي التقليدي بجودة الأسمدة وتوفر الآلات الحديثة، ونتج عن هذه المنافسة بين طرفين غير متساويين في المؤهلات والإمكانات انسحاب عدد كبير من الفلاحين الجزائريين من ميدان الفلاحة والهجرة إلى أماكن أخرى للبحث عن مهن أخرى للاستزاق³.

¹ - الجليلي صاري، الكارثة الديموغرافية، المرجع السابق، ص: 7.

² - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية 1900-1930م، ج2، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص: 120.

³ - عمار بوحوش، العمال الجزائريون في فرنسا، (د ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ت، ص: 94-95.

2- الهجرة الخارجية:

بعد معانات الجزائريين من السياسة الاستعمارية وفقدانهم لأراضيهم وخيراتهم كانوا يرون بان متنفسهم في المراكز الحضرية التي انتقلوا إليها لكن كانت الأمور مشابهة لما هي عليه في الريف ما دفعهم إلى مغادرة وطنهم إلى الخارج وكانت هذه الهجرة إجبارية ومحتمة على الجزائريين إلى مناطق مختلفة من العالم.

أ- الهجرة نحو المغرب الأقصى:

بعد احتلال الجزائر ازدادت وتيرة الهجرة نحو المغرب وهذا هروبا من جرائم المستعمر وخوف الجزائريين على شعائرهم الدينية، كان أغلب المهاجرين من المنطقة الغربية والذين تربطهم بالمغاربة صلات القرابة والنسب، ومن المدن المغربية التي كانت أكثر استقطابا لهؤلاء الجزائريين هي: وجدة، فاس، طنجة، تطوان وكذلك الرباط وسلا وكانت غالبية الجزائريين قد قدموا من تلمسان، معسكر، مستغانم، ووهران، ومن أشهر القبائل التي هاجرت إلى المغرب الأقصى هي: حميان، أولاد سيدي الشيخ، وبني عامر، وفليته، وقد حافظ هؤلاء المهاجرون الجزائريون في المغرب على نفس الوظائف الاقتصادية والتجارية التي كانوا يمارسونها في الجزائر¹.

في بداية الاحتلال مباشرة حدثت هجرة بسبب عواقب الاستعمار على الشعب الجزائري حيث خلت بعض المدن الجزائرية من سكانها أثناء دخول الفرنسيين إليها، وكان أكثر المهاجرين الجزائريين ينتمون إلى مدن الغرب الجزائري (وهران، تلمسان مستغانم) كان أغلبهم انتقل إلى تطوان²، ومن الأمور التي يجدر الإشارة إليها أن الكثير من الجزائريين الذين وصلوا المغرب الأقصى لم يكن هدفهم الاستقرار بهذا البلد وإنما كانوا قاصدين العبور إلى بلاد الشام

¹ - نادية طرشون وآخرون، الهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي أثناء الاحتلال، ط خ، دار الهومة، د ت، الجزائر، ص 266-267.

² - إدريس بوهليلة، الجزائريون في تطوان خلال القرن 19م مساهمة في تاريخ الاجتماعي المغربي، ط 1، مطبعة الهداية، تطوان، المغرب، 2012م، ص: 82.

كانت الغالبية من هؤلاء تنزل في منطقة الريف المغربي أو في شمال المغرب، والكثير منهم فشل في تحقيق أمنيته، ولهذا منهم من اختار العودة إلى الجزائر أما من فضل البقاء في المغرب فقد وُظف في مصالح القنصلية الفرنسية¹.

استقرت وتكونت طائفة من المهاجرين في المغرب قدموا سنة 1832م من معسكر وتلمسان، ثم التحقت بهم في سنة 1835م أفواج أخرى أمثال: الحشم وبعض الوهرانيين إثر معركة إيسلي².

بعد موجة الهجرة في سنة 1870م، ورحيل الثائرين المغلوبين، في سنة 1871م تواصلت حركة الهجرة خلال سنة 1874م في القطاع الوهراني هروبا من عواقب الحبس من جهة، ولأسباب دينية من جهة أخرى، ولقد طلب بعضهم الرحيل بشكل رسمي " للعيش والموت في دولة مسلمة" وقد استشار الجنرالات الحاكم العام في الأمر وكان رأيه التصدي لهذه النزعة قبل أن يستفحل أمرها، وأضاف قائلا: "ينبغي وضع حد لهذه الظاهرة" بضرب الرؤوس المسؤولة عنها من جهة، وبتسهيل عودة الذين هاجروا من جهة أخرى، ولكن هذه الإجراءات لم تثبّت عزيمّة الراغبين في الهجرة فتواصلت في سبتمبر من سنة 1875م في ناحية وهران واستمرت العشائر التابعة لقبائل الجنوب الوهراني في النزوح باتجاه المغرب، وهذا ما جعل الإدارة الاستعمارية من أن توجه أصابع الاتهام إلى طريقة الدرقاوة وإلى طريقة بوعمامة فيما بعد سنة 1881م³.

ب- الهجرة نحو المشرق:

قبل سقوط الجزائر في مخالب الاستعمار الفرنسي كان الجزائريون يرحلون إلى المشرق العربي لأداء فريضة الحج أو لطلب العلم أو للتجارة، أما بعد الاحتلال فقد اتخذت هجرة

¹ - نادية طرشون وآخرون، المرجع السابق، ص: 268.

² شارل روبر أجيرون، المسلمون الجزائريون وفرنسا، ج 2، المرجع السابق، ص: 750.

³ - نفسه، 751.

الجزائريين إلى المشرق العربي صبغة مغايرة تماما لتلك التي اضطبغت بها قبل الاحتلال، ويمكننا أن نعتبر سنة 1832م كبداية للهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي وغيره، ذلك لأنه في بداية هذه السنة الأخيرة أضحى أمر اضطهاد الفرنسيين للجزائريين حقيقة ساطعة¹، وقد ارتبطت هجرة الجزائريين ببلاد المشرق أو الشام عبر تونس، ثم القاهرة، اسطنبول، دمشق، بيروت كما ارتبطت هذه الهجرات بأحداث سياسية هزيمة الأمير عبد القادر عام 1847م هجرة الثوار عام 1871م في أعقاب هزيمة المقراني ثم بوعمامة².

استقبلت تونس وسوريا ابتداء من سنة 1837م أفواج المهاجرين العرب والقبائل وفي عهد الإمبراطورية الثانية، وخصوصا في سنوات 1854م و1861م، و1864م و1870م حاولت بعض القبائل والعشائر المغادرة إلى تونس والسير إلى بلاد الشام، وكان المهاجرون الذين توجهوا إلى المغرب وسوريا أكثر تنظيما من غيرهم واستمرت اتصالاتهم بإخوانهم في الجزائر عن طريق البريد واستطاعوا من خلال مراسلاتهم إقناع البعض على الالتحاق بهم وهذا ما حدث بالفعل، كما هاجرت بعض عائلات الأعيان بعد صدمة الإصلاحات الاجتماعية والسياسية المعلنة بالرغم من أن السلطات الاستيطانية كانت تظن أن أولئك الأعيان مؤيدي لمشروعها وحضارتها³، ولا توجد أي إحصائيات عن عدد المهاجرين في المشرق العربي قبل سنة 1856م وكل ما هناك أن القنصل الفرنسي في دمشق يشير في إحدى رسائله التي وجهها إلى السفير الفرنسي في اسطنبول بتاريخ 20 ديسمبر 1835م إلى وجود المغاربة في سوريا، " بأعداد

¹ - عمار هلال، الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام (1847-1918)، د ط، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2007، ص-ص 11-12.

² - نور الدين ثنيو، هجرة الجزائريين إلى المشرق العربي بين السياسة والدين، 1848م-1912م، مختبر الدراسات السسيوتاريخية حول حركات الهجرة، جامعة قسنطينة، 2009، ص: 97-98.

³ - شارل روبر أجيرون، المسلمون الجزائريون وفرنسا، ج 2، المرجع السابق، ص-ص 750-751.

هائلة"¹، واستأنفت الهجرة في القطاع الوهراني ما بين 1874م و1875م، ولم تتوقف موجة هجرات الجزائريين باتجاه سوريا حيث أشارت إحصائيات إلى هجرة 237 شخص عام 1896م وإلى وصول 800 جزائري إلى مدينة بيروت عام 1898م، وانطلقت موجة أخرى من المهاجرين من نفس السنة من منطقة الشلف باتجاه سوريا دائما².

هناك بعض الإحصائيات أشارت إلى أن عدد المهاجرين الجزائريين المسجلين في القنصلية الفرنسية في دمشق بين سنتي 1856م و1858م قد وصل إلى حوالي 79 عائلة أي 480 نسمة، وبعد سبع سنوات من هذا التاريخ الأخير ارتفع عدد المسجلين في نفس القنصلية إلى أكثر من 25200 نسمة، لكن سجلات القنصلية الفرنسية لا تعتبر بأي حال من الأحوال كمصدر أساسي وجدّي لإحصاء المهاجرين الجزائريين في سوريا أو في غيرها من الولايات العثمانية، لأن الكثير من المهاجرين يمتنعون عن تسجيل أنفسهم في القنصلية الفرنسية لأسباب سياسية وهذا في حد ذاته اعتراف منهم بالحماية الفرنسية، وكان معظم الجزائريين في سوريا يرفضون الحماية الفرنسية وعدم الانتماء بأي شكل من الأشكال إلى جلاديهم ومضطهديهم في وطنهم بمجرد وصولهم إلى ميناء بيروت، أما أولئك الذين يسافرون عن طريق البر فيصعب كثيرا على السلطات الفرنسية في دمشق أو غيرها مراقبتهم وفرض أية سلطة عليهم، فكثيرا ما تفاجأت السلطات الفرنسية (القنصلية) بالعثور على أعداد هامة من المهاجرين الجزائريين دخلوا سوريا دون علمها³.

¹ - عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830-1962م)، (د ط)، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1995م، ص: 86.

² - إبراهيم مهديد، عناصر التفكير لمقاربة الهجرات الجزائرية المعاصرة مشرقيا ومغربيا (البعد التاريخي والواقع الاجتماعي) أعمال الملتقى الوطني حول الهجرة الجزائرية إبان مرحلة الاحتلال (1830-1962)، ط خ، منشورات وزارة المجاهدين 2007م، ص: 63.

³ - عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة، المرجع السابق، ص: 89-90.

كانت في أغلب الأحيان تونس نقطة عبور الجزائريين نحو المشرق العربي والحجاز، فقد سجل القائد العام الفرنسي في تونس أن مجموعات من الجزائريين تصل تباعا إلى أرض الحماية وأشار إلى أنه في شهر أكتوبر من سنة 1898م، بلغ عدد الذين وفدوا إلى تونس من الجزائريين وقاصدين المشرق العربي 237 امتطوا باخرة "الأمير لين (Prince Line)"¹.

شهد القطاع الوهراني سنتي 1910-1912م هجرات جديدة باتجاه سوريا من معسكر (32 مهاجرا) ومستغانم (مهاجر 1) وسيدي بلعباس (4 مهاجرين) وتعتبر هذه الهجرات الأخيرة من أخطر الهجرات التي عرفها القطاع الوهراني وكانت نتيجة لسياسة الإدارة الاستعمارية وقراراتها وخاصة قانون التجنيد الإجباري الذي دفع السكان إلى مغادرة أرض الوطن واختيار مناطق أخرى مجبرين².

استقرار الأمير عبد القادر في دمشق وتأثيره على الهجرة الجزائرية:

إذا كانت الهجرة الجزائرية نحو سوريا اتخذت صبغة خاصة قبل استقرار الأمير عبد القادر في دمشق، فمنذ سنة 1856م اتخذ طابعا يكاد أن ينحصر في شخص الأمير الذي جلب استقراره في هذه المدينة الأخيرة، أنظار الجزائريين إليها وبالأخص المقربين إليه، والذين شاركوه في حركته النضالية ضد الاستعمار الفرنسي عن قرب أو عن بعد³.

عندما غادر الأمير مدينة أبروسيا* متوجها إلى سوريا، كان مرفوقا بحوالي 110 شخصا، من بينهم 27 شخصا يكونون أفراد عائلته في نفس الوقت كانت مجموعة أخرى تتكون من حوالي 100 شخص قد شدّت الرحال إلى دمشق من أبروسيا عبر البر، والتقى

¹ - نور الدين ثنيو، المرجع السابق، ص: 99.

² - إبراهيم مهديد، بعض عناصر التفكير ومقاربة الهجرات الجزائرية المعاصرة، المرجع السابق، ص: 65.

³ - عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة، المرجع السابق، ص: 85.

*أبروسيا: مدينة تركية أقام فيها الأمير عبد القادر لعامين قبل انتقاله إلى دمشق، أنظر: أحمد كمال الجزائر، المفاخر في معرفة الأمير عبد القادر والسادة الأولياء الأكابر، تق: محمد زكي إبراهيم، ط 1، مطبعة العمرانية للأوفيس، الجيزة، مصر، 2007، ص: 38.

الجميع في دمشق، أين وجدوا الكثير من المهاجرين الجزائريين الذين سبقوهم إليها، بعضهم كان قد استقر فيها قبل سنة 1830م، كما كانت مدن حوران وحمص وضواحيها قد استوعبت بعض العائلات الجزائرية التي هاجرت إلى سوريا في فترات زمنية مختلفة، ومن الطبيعي أن العاصمة السورية دمشق قد استوعبت أكثر عدد من هؤلاء المهاجرين الجزائريين¹، والتي استقر بها الأمير ووصلها سنة 1855م، فكان الناس يلجؤون إليه في حل مشاكلهم، وكانت كلمته لا ترد عند الحكومة²، وهو الأمر الذي سيحرك الهجرة الجزائرية نحو سوريا، بالأخص واحتذاء بالأمير اختار كل الجزائريون الذين شاركوه في مقاومته ضد الاستعمار الفرنسي للجزائر كمنفى لهم في مدينة دمشق، وحتى أولئك الذين لم يحاكمهم الاستعمار الفرنسي فضلوا من تلقاء أنفسهم مغادرة موطنهم والالتحاق برفاقهم في دمشق على البقاء تحت السيطرة الاستعمارية³ لم يكن الأمير في حاجة إلى بث الدعاية وتوجيه النداءات للجزائريين ليلتحقوا به في سوريا فمجرد وجود شخصه في دمشق جلب أنظار الجزائريين إليه بشكل لم يسبق له مثيل، فلو حرص الجزائريين على الهجرة إلى سوريا لاستجابت إليه من أقصاها إلى أقصاها، ولكن ذلك لم يحدث، ورغم ذلك نلاحظ ارتكاز هجرة الجزائريين على مدينة دمشق وضواحيها حيث يوجد الأمير ولا شيء يدل على ذلك سوى تضاعف عدد المهاجرين الجزائريين في دمشق عدة مرات وإذا كان عدد المهاجرين لا يتجاوز عدة مئات عندما قدم الأمير إلى دمشق فبعد 05 سنوات من استقراره في هذه المدينة أي في سنة 1860م تضاعف هذا العدد 10مرات بدليل أن الأمير تدخل لإخماد حوادث 1860م لما يزيد عن 1000 رجل من الجزائريين، وفي ذلك دلالة قاطعة على وجود أعداد هائلة من الجزائريين في دمشق، خلال هذه السنة الأخيرة، وعن ذلك كتب القنصل الفرنسي المقيم في دمشق إلى حكومته يقول: "...

¹ - عمار هلال، الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام، المرجع السابق، ص: 19.

² - أحمد كمال الجزائر، المرجع السابق، ص: 38.

³ - عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة، المرجع السابق، ص: 86-87.

طلب مني الأمير إذا كان بإمكانني أن أوفر له المال اللازم لتسليح 1000 رجل من الجزائريين، وكان الخطر كبيرا، فما كان مني إلا أن سمحت له أن ينفق من الأموال ما يراه لهذا الغرض¹.

ج- الهجرة إلى فرنسا:

هجرة الجزائريين إلى فرنسا تثير الكثير من التساؤلات والأسباب التي دفعت الجزائريين إلى مغادرة أرضهم، وهل ضاقت بهم بلادهم وهي أكبر بلد في إفريقيا، وتبلغ مساحتها أربع مرات مساحة فرنسا، والجواب أنه مع الأسف الشديد كل المؤرخين الفرنسيين الذين أرخوا للهجرة الجزائرية إلى فرنسا لا يذكرون السبب الحقيقي وراء هذه الهجرة وهو مصادرة الأراضي الخصبة للجزائريين، وتمليكها للمعمرين، كان المؤرخين الفرنسيين الذين أرخوا للهجرة الجزائرية إلى فرنسا يرجعون أسبابها إلى النمو الديموغرافي الهائل وسط السكان الأصليين، وهؤلاء المؤرخون لا يريدون أن يحملوا الاستعمار الفرنسي الاستيطاني ما وصل إليه الفلاحين الجزائريين، الذين تركوا قراهم ومدائشهم، وركبوا البحر إلى فرنسا بحثا عن لقمة العيش².

يتفق أغلب الذين كتبوا عن الهجرة الجزائرية إلى فرنسا بأنها قد تمت في مرحلتها الأولى دون إثارة الانتباه إليها، لذلك يصعب تحديد سنة بعينها كبداية للهجرة نحو فرنسا، لكن المؤكد أنها قد بدأت قبل سنة 1874م، وهي السنة التي أصدر فيها مرسوم يقيّد الهجرة إلى فرنسا بالحصول على إذن بالسفر، وكانت طبيعة المهاجرين هم الرعاة الذين رافقوا أنعام مستخدميه المعمرين نحو مدينة مرسيليا، والتجار المتجولون بالسجاجيد والتحف الجزائرية، والخدم لدى الخواص من الفرنسيين أيضا³، لكن بعد ذلك تغيرت الوضعية الاقتصادية في فرنسا، بدأت الحكومة تهتم بالتوسع الصناعي وتطوير السياسة الاقتصادية لكي تتماشى مع التقدم السريع

¹ - عمار هلال، الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام، المرجع السابق، ص: 22-23.

² - علال ليندة وفايزة قلمي، الهجرة الجزائرية نحو فرنسا، أسبابها ونتائجها، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، ثورة أول نوفمبر، (ط خ) الجزائر، 2007م، ص: 205-206.

³ - عبد الحميد زوزو، الدور السياسي للهجرة إلى فرنسا بين الحربين 1914-1939م، (د ط)، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر 2007، ص: 12-13.

الذي بلغته دول أوروبا الغربية، ونتج عن هذا التوسع نقص في اليد العاملة، التي تسد حاجيات المصانع الفرنسية، ومن هنا اتجهت أنظار رجال الأعمال الفرنسيين للاستعانة بالعمال وخاصة الوظائف التي لا تحتاج إلى مهارة فائقة، وقد قدر عدد الجزائريين الذين هاجروا إلى فرنسا في سنة 1912م حوالي 4000 أو 5000 عامل ونصف هؤلاء كانوا في ضواحي مدينة مرسيليا¹

تشير بعض الإحصائيات على أن عدد الجزائريين بفرنسا بين 1900م و1914م قدر بـ 10 آلاف مهاجر جزائري، وحوالي نصف هذا العدد هاجر بين عامي 1912-1914م وقد بدأ الجزائريون في فرنسا يقارنون حياتهم التعيية تحت قانون الأهالي بالحرية التي وجدوها في مرسيليا وباديكالي وباريس، ولم يشعروا كعمال أنهم كانوا يختلفون كثيرا عن زملائهم العمال الفرنسيين وكانوا مجبرين على تعلم لغة جديدة، لذلك بدأ الكثير من الجزائريين يدرسون اللغة والثقافة الفرنسية ويحضرون المحاضرات كمستمعين، ويتحدثون عن السياسة، وهو الذي كان محرما في بلادهم، وقد عارض الكولون الهجرة الجزائرية، لأنها تجردهم من اليد العاملة الرخيصة والاستغلال الحر².

د- هجرة تلمسان:

شهدت سنة 1911م في الجزائر هجرة سكانية معتبرة، فلقد غادر المئات من مسلمي تلمسان القطر الجزائري، إما خفية أو علانية، وأخذت هذه الحلقة من تاريخ الجزائر قسما معتبرا في صحف المستوطنين، وفي الصحافة الفرنسية، اعتبر المستوطنون هذه الهجرة مؤشرا على احتجاج المسلمين ضد قانون التجنيد الإجباري الذي تعارضه الأغلبية الساحقة من الجزائريين³.

¹ - عمار بوحوش، العمال الجزائريون في فرنسا، المرجع السابق، ص: 134.

² - أبو قاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج 2، المرجع السابق، ص: 128-129.

³ - شارل روبر أجيرن، المسلمون الجزائريون، ج 2، المرجع السابق، ص: 749.

شكلت مدينة تلمسان وضواحيها المحور الأساسي الذي دارت حوله هجرة الأهالي الجزائريين سنة 1911م، وقامت الصحافة الفرنسية الصادرة في الجزائر بحملة دعائية لهذه الهجرة، التي حدثت في تلمسان، حتى كادت هذه الأخيرة أن تكون معروفة لدى العامة، ومن لا علاقة له بالدراسات التاريخية على الإطلاق وذلك لكثرة ما كتب عنها من دراسات خاصة وعامة¹.

تميزت هجرة أهالي تلمسان وضواحيها عن باقي الهجرات بكثافتها، بحيث لم تعطي منطقة في الجزائر، وفي خلال شهر واحد مقدار ما أعطته تلمسان، وضواحيها من مهاجرين فبين شهري أكتوبر ونوفمبر من عام 1911م، خرج ما بين 1000 و1200 شخص يمثلون أفرادا وعائلات بكاملها، عبر الحدود الوهرانية المغربية، وكانت هذه العائلات قد أبحرت إلى بلاد الشام من الموانئ الأسبانية في المغرب الأقصى، قاصدة الإسكندرية، والشام، وظهرت البوادر الأولى لهذه الهجرة مع أواخر عام 1910م، كرد على إجراءات التجنيد الإجباري، وشروع السلطات الاستعمارية في عمليات إحصاء الشباب منذ 1909م²،

كما اشرنا سابقا فقد احتلت تلمسان الصدارة حسب مصادر موضوعنا هذا، ومن ثم اختلفت تقديرات هذه المصادر لأعداد المهاجرين إلى سوريا من تلمسان، فمنها ما يقدر أعدادهم بـ 368 ومنها ما يقدر بـ 425، وهناك من يذهب إلى أن عددهم قد وصل حوالي 800 مهاجر، وهناك من يقدرها بـ 637 مهاجر، ونظرا للتضارب بين هذه الأرقام يصعب علينا تحديد بالضبط أعداد المهاجرين من تلمسان إلى سوريا سنة 1911م، ولكن الذي يجب ملاحظته هنا هو أن الأعداد التي تقدمها الوثائق الفرنسية على مختلف أنواعها ومنابعها لا تعبر

¹ - عمار هلال، الهجرة الجزائرية نحو الشام، المرجع السابق، ص: 131.

² - نادية طرشون وآخرون، المرجع السابق، ص: 241-242.

عن الأعداد الحقيقية للأهالي الذي غادروا تلمسان وضواحيها لسنة 1911م، هروبا من ظلم واضطهاد الاحتلال الفرنسي لهم¹.

عرفت المدن والقرى القريبة من تلمسان، مثل: الرمشي، سبدو، ندرومة، توزين صبرة حاليا، استعدادات كثيفة للهجرة، حيث قام الأهالي ببيع ممتلكاتهم للأوربيين من أراضي وعقارات، والفرار خفية عبر الحدود المغربية، وأمام هذه الحالة قررت صحيفة صدى وهران بإرسال أحد محرريها كوقروس (Cuggross) إلى تلمسان لتحقيق في أمر هجرة الأهالي وأثار التقرير الذي نشرته هذه الصحيفة في 06 حلقات ضجة كبيرة واعتمدته أكثر الصحف التي كتبت عن هذه الظاهرة، ومن بينها: صحيفة Le Temps الباريسية، وقد جاء في أحد هذه التقارير أن الهجرة اشتدت خلال النصف الثاني من شهر سبتمبر، والأيام الأولى من شهر أكتوبر ثم خفت، ربما لفعالية الحراسة، التي وضعتها السلطات على الحدود مع المغرب الأقصى ولخشية الأهالي².

ترك الأهالي في تلمسان أكثر من 200 دار بأراضيها الملحقة لها للبيع في الوقت الذي اخذ فيه كثير من الشبان طريقهم إلى سوريا ولبنان، وفلسطين، مصر، والحجاز يقدر عدد الأفراد الذين غادروا تلمسان وضواحيها، لشهر سبتمبر 1911م بأكثر من 60 فردا، معتبرة في ذلك الإشارة الخضراء التي أعطيت للهجرة، في مناطق غرب البلاد، وذلك ما حدث، إذ تشير الوثائق أنه في الفاتح من شهر أكتوبر غادر تلمسان وضواحيها أكثر من 250 ساكن اتجهوا إلى مليلة أو طنجة في المغرب الأقصى عبر بركان ليلتحقوا بلبنان عن طريق البحر من

¹ - عمار هلال، الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام، المرجع السابق، ص: 132.

² - نادية طرشون وآخرون، المرجع السابق، ص: 243.

هناك، وفي نفس الشهر شد أكثر من مئة شخص من تلمسان وضواحيها رحالهم إلى سوريا عبر المغرب تحت قيادة أحد مقدمي الطريقة الدرقاوية¹.

قَدّرت الإدارة الاستعمارية عدد العائلات التي تمكنت من الهجرة من عام 1910 إلى 1912م، بـ 794 عائلة أو حوالي 4000 شخص وكان من ضمنهم على الخصوص أعيان وأفراد من عائلات ثرية، مثل عائلة مفتي تلمسان، أو قائد منطقة أولاد الشولي في بلدية سبدو المختلطة الذي كان موظفا ذا مكانة رفيعة، وصاحب أملاك وهاجر فجأة مع نهاية 1910م، مصطحبا معه 27 شخصا من أهله وأقاربه، كانت حالة الهجرة تلك التي كان يجب وضع حد لها بالقوة تنم عن ذهنية واسعة الانتشار إذ أصبحت الهجرة تؤدي وظيفتها التقليدية في الجزائر الفرنسية، وأصبحت تعتبر من قبل المؤشر الشبه مطلق على زوال فئة الأهالي².

وفي الأخير يمكن القول أن الهجرة الجزائرية إلى الخارج كان نتيجة لعديد من العوامل التي أرغمت الجزائريين على مغادرة وطنهم، بسبب الضغوطات التي لقيها الأهالي من طرف الإدارة الاستعمارية والمستوطنون الأوروبيون، لذا فضل الجزائريون ديار الغربة على الإهانة والظلم داخل وطنهم الأم.

¹ - عمار هلال، الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام، المرجع السابق، ص: 142-143.

² - شارل روجير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، م 2، المرجع السابق، ص: 369-370.

خاتمة

من خلال دراستنا لموضوع الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للقطاع الوهراني في الفترة الممتدة من 1830م-1914م استخلصنا مجموعة من النتائج وهي كالتالي:

كان لفرنسا عدّة نوايا في احتلال الجزائر يراد منها استغلال الجزائر واستيطانها بصفة دائمة، كما تهدف إلى تمليك الأرض للكلون وانتزاعها من أصحابها الأصليين، الذين ظلوا يستغلونها لمدة معتبرة من الزمن، ركزت السلطات الاستعمارية منذ المراحل الأولى على الاستيطان كدعامة أساسية لسياستها بالغرب الجزائري.

تعتبر الأرض كهوية للأهالي ومصدر رزق لكن الإدارة الفرنسية بالاستيلاء عليها ومنحتها للمعمرين من خلال المراسيم والقوانين الصادرة من طرف السلطات الاستعمارية كما شجعت الهجرات الأوربية إلى الجزائر على فترات متلاحقة.

بعد استيلاء المستوطنون على أخصب الأراضي، عملت السلطات الاستعمارية على تحويل زراعة القمح والشعير إلى زراعة الكروم التي كانت تحقق أرباح طائلة للمستثمرين الأوربيين وضرب هوية المجتمع الجزائري من خلال إقدامهم على إنتاج الخمر.

كانت الجزائر عبارة عن خليط من الأجناس بسبب تشجيع الهجرة الأوربية، فقد احتل اليهود والاسبان الأولى من ناحية عددهم في بعض الفترات وسيطرة اليهود على التجارة.

سعت إدارة الاحتلال على تجهيل الجزائريين وذلك من خلال غلق المدارس العربية الحرة ومضايقتها ومراقبتها ووضع شروط لها، وفرض سياسة تعليمية فرنسية تبشيرية من اجل طمس الهوية الجزائرية والقضاء على اللغة العربية.

عرف القطاع الوهراني إبان فترة الاحتلال الفرنسي تدهور في الوضع الصحي وذلك راجع إلى انتشار الأمراض والأوبئة كالطاعون، ووباء الكوليرا، وعدم اهتمام سلطات الاحتلال بالمراكز الصحية إلا نادرا وذلك خوفا من نقل العدوى للمعمرين.

كان قانون السيناتوس كونسيلت 22 أبريل 1863م من اخطر القوانين إذ يعتبر سلاحا لضرب البنية الاجتماعية للشعب الجزائري وأقوى وسيلة وضعت في أيدي الكولون ما أكسبهم القوة والنفوذ والأمن.

كان واضحا تصميم الشعب الجزائري منذ البداية لمقاومة الاستعمار الفرنسي وعدم الخضوع له بأي وسيلة رغم عدم التكافؤ بين الطرفين إلا إن ظهور زعماء وقادة مناهضين للاستعمار الفرنسي قاموا بعدة ثورات وانتفاضات في فترات مختلفة بالقطاع الوهراني وكعادة السلطات الفرنسية فإنها طبقت عقوبات صارمة وقاسية ضد سكان المنطقة، صادرت أملاك الثوار والمؤيدين لهم بصورة جماعية، وفرضت غرامات حرية على الأمير عبد القادر وقبائل أولاد سيدي الشيخ كما كسبت سلطات الاحتلال تحالف بعض القبائل معها من خلال منحهم بعض الإغراءات.

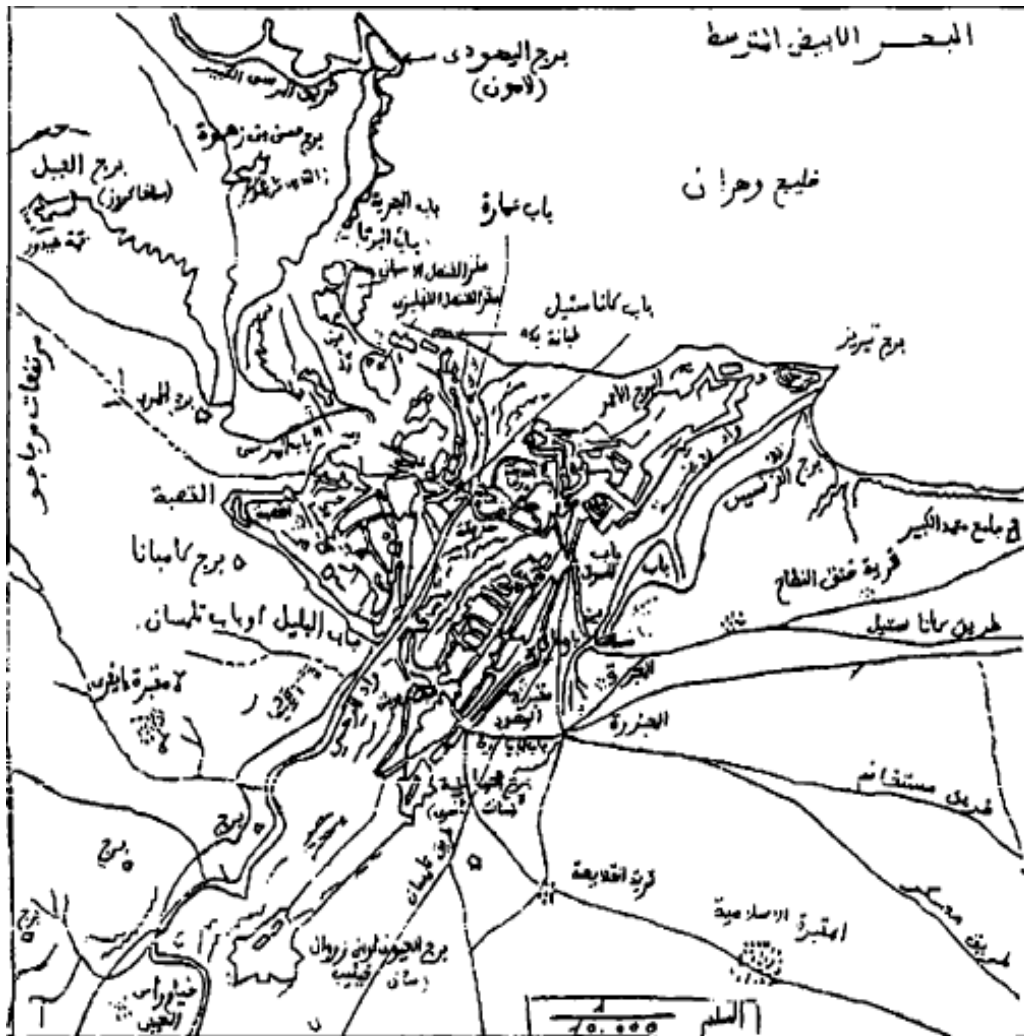
يعتبر الأمير عبد القادر رمز المقاومة في الغرب الجزائري حيث نجح في تأسيس دولته رغم الوجود الفرنسي بالمنطقة كما أجبرهم على إبرام معاهدات واتفاقيات كمعاهدة ديميشال والتافنة.

إخضاع الجزائريين إلى نظام ضريبي تعسفي وغير عقلاني أثقل كاهل السكان رغم قلّة المحاصيل وانتشار الجفاف والجراد وأصبحت الضريبة تؤمن مداخيل الاستعمار.

شهد القطاع الوهراني اتساع في حركة الهجرة وهذا مانتج عنه اختلال داخل المجتمع الريفي ما جعلهم يغيّرون نمط عيشهم بانتقالهم إلى المدن، كما شهد القطاع الوهراني هجرات خارجية إلى البلدان العربية وفرنسا.

لجأ الجزائريون إلى الهجرة والفرار من البلد وخاصة سنة 1911م حيث هاجر العديد من التلمسان وضواحيها بسبب التجنيد الإجباري حيث هاجر العديد من تلمسان وضواحيها بسبب التجنيد الإجباري وبيع أراضيهم بأثمان زهيدة والتي استغلها المستوطنون.

الملحق رقم 1: خريطة وهران عشية الاحتلال الفرنسي سنة 1831م¹



¹ بن عودة المزاري، المرجع السابق، ص: 92.

الملحق رقم 2: إعلان لتشجيع الاستيطان¹

(20 SEPTEMBRE)
RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.
Liberté, Égalité, Fraternité.

COLONISATION DE L'ALGÉRIE.

AVIS AUX OUVRIERS.

L'Assemblée nationale a voulu accélérer le développement des colonies agricoles en Algérie.

Les membres du Ministère de la Colonisation institués par l'article 3, ne se sont pas contentés de l'Assemblée nationale. Ils ont voulu aller plus loin. Ils ont voulu aller chercher les hommes qui ont le talent et le courage pour aller coloniser l'Algérie. Ils ont voulu aller chercher les hommes qui ont le talent et le courage pour aller coloniser l'Algérie.

Le Ministère de la Colonisation a voulu accélérer le développement des colonies agricoles en Algérie. Les membres du Ministère de la Colonisation institués par l'article 3, ne se sont pas contentés de l'Assemblée nationale. Ils ont voulu aller plus loin. Ils ont voulu aller chercher les hommes qui ont le talent et le courage pour aller coloniser l'Algérie. Ils ont voulu aller chercher les hommes qui ont le talent et le courage pour aller coloniser l'Algérie.

(21 SEPTEMBRE)
RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.
Liberté, Égalité, Fraternité.

COLONISATION DE L'ALGÉRIE.

AVIS AU PUBLIC.

Un arrêté du Chef du Service central a désigné comme membres de la Commission qui doit, d'après l'article 3 du décret de l'Assemblée nationale du 19 de ce mois, examiner les titres des colons, les Français et ceux qui auront obtenu le statut de Français, les citoyens.

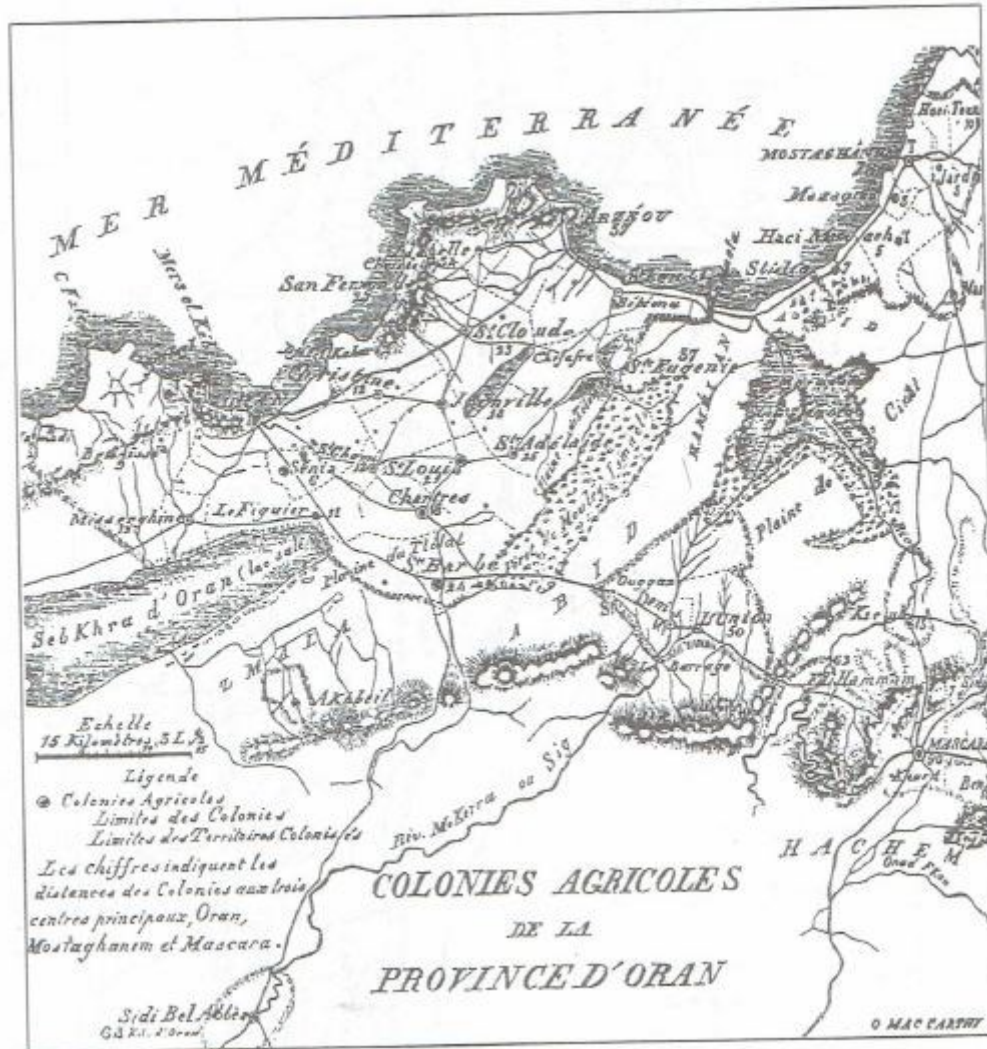
Le Ministère de la Guerre a voulu accélérer le développement des colonies agricoles en Algérie. Les membres du Ministère de la Guerre institués par l'article 3, ne se sont pas contentés de l'Assemblée nationale. Ils ont voulu aller plus loin. Ils ont voulu aller chercher les hommes qui ont le talent et le courage pour aller coloniser l'Algérie. Ils ont voulu aller chercher les hommes qui ont le talent et le courage pour aller coloniser l'Algérie.

¹ - عدة بن داهة ، الاستيطان والصراع، المرجع السابق، ص: 142.



1 - GEORGES YVER, collection de document inédit sur l'histoire de l'- Alger après 1830, 2em S, imprimeur libraire de l'universitaire, Alger, 1912. P :13.

الملحق رقم 4: المستعمرات الزراعية في مقاطعة وهران لسنة 1848م¹



¹ - شارل روبر أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، المرجع السابق، ص: 605.

الملحق رقم 5: مخطط لمستوطن دوبلينو¹



¹ عدة بن داهية، المرجع السابق، ج 1، ص: 72.

¹ الوهراني

في القطاع

GOVERNMENT GENERAL		1890		1891		1892		1893		1894		1895		1896		1897		1898		1899		1900		1901		1902		1903		1904		1905		1906		1907		1908		1909		1910		1911		1912		1913		1914		1915		1916		1917		1918		1919		1920		1921		1922		1923		1924		1925		1926		1927		1928		1929		1930		1931		1932		1933		1934		1935		1936		1937		1938		1939		1940		1941		1942		1943		1944		1945		1946		1947		1948		1949		1950		1951		1952		1953		1954		1955		1956		1957		1958		1959		1960		1961		1962		1963		1964		1965		1966		1967		1968		1969		1970		1971		1972		1973		1974		1975		1976		1977		1978		1979		1980		1981		1982		1983		1984		1985		1986		1987		1988		1989		1990		1991		1992		1993		1994		1995		1996		1997		1998		1999		2000		2001		2002		2003		2004		2005		2006		2007		2008		2009		2010		2011		2012		2013		2014		2015		2016		2017		2018		2019		2020		2021		2022		2023		2024		2025		2026		2027		2028		2029		2030		2031		2032		2033		2034		2035		2036		2037		2038		203
--------------------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	------	--	-----

¹ - محمد الطاهر وعلي ، التعليم التبشيري في الجزائر من 1830 الى 1904م، (د ط)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2009م. ص: 281.

الملحق رقم 7: حصيلة لمختلف الامراض في تلمسان لسنة 1842م¹

¹ - Cambay Charles, topographie médicale de la province de tlemcen, imprimerie de hauquelinetbautruche, paris, 1844. P :31.

RÉCAPITULATION GÉNÉRALE.

CLASSEMENT DES MALADIES.	Existants le 6 mars.					Entrés.	Sortis par billet.	Sortis par évacuation.	Morts.	Restants le 31 décembre à minuit.
	7	8	12	3	2					
1 ^{re} Affections endémo-épidémiques de 1 ^{re} invasion.	1079						924	53		68
2 ^{re} Affections endémo-épidémiques récidivées.	648						542	39		23
3 ^{re} Affections sporadiques ou intercurrentes.	746						617	20	49	72
4 ^{re} — Chroniques consécutives aux endémo-épidémiques.	156						81	18	49	11
5 ^{re} — Chroniques consécutives aux intercurrentes.	37						23	5	7	4
TOTAL.	2666	32	2698			2187	135	198	178	
			2698					2698		

MORTALITÉ.

Sur les entrants et les restants, 2698. — Morts 198. — Proportion, 1 sur 13, 62 : il faut observer qu'il y a eu 7 malades écrasés par la chute d'une terrasse, qui sont morts tout de suite ou peu après. Proportion, sur 100 malades, 7, 3.

Sur les sortants, 2322. Morts 198. — Proportion, 1 sur 11, 72 ou 8, 53 sur 100.

Sur la moyenne de la garnison, 4500 hommes: Morts, 198. — Proportion, 1 sur 22, 72 ou 4, 9 sur 100

القرآن الكريم: برواية ورش عن نافع.

المصادر العربية:

1. خوجة حمدان بن عثمان، المرأة، (د ط)، تق، تع، تح: محمد العربي الزيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006م.
2. الزهار أحمد شريف، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، نقيب أشرف الجزائر 1754-1830م، (د ط)، تح: أحمد توفيق المدني، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر 2011م.
3. الزباني محمد بن يوسف، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تح، تق: المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 2013م.
4. العنتري محمد صالح، مجامع قسنطينة، (د ط)، تح، تق: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م.
5. المزاري ابن عودة، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وأسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19، (د ط)، ج 1، تح: يحيى بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د ت).
6. شالر وليام، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824م، (د ط)، تح، تق، تق: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م.

المصادر بالفرنسية :

7. Cambay Charles, topographie médicale de la province de tlemcen, imprimerie de hauquelinetbautruche, paris, 1844.
8. DELPHIN G, fas, son universite et lenseignementsuperieur musulman, Paul Perrier, imprimeur, ORAN, 1889.
9. GEORGES YVER, collection de document inédits sur l'histoire de l'- Algerie après 1830, 2em S, imprimeur libraire de l'universitaire, Alger, 1912.
10. Pichon J, abdelkader sa jeunesse son role politique et relegieux son rol militaire sa captivité sa mort (1807-1883), Henri Charles- lavauzelle Editeur militaire, Paris.

المراجع بالعربية:

11. أجيرون شارل روبير، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871م حتى اندلاع حرب التحرير، م 2، تر: محمد حمداوي وابراهيم صحراوي، دار الأمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
12. أجيرون شارل روبير، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919م، ج 1، تر، الحاج مسعود دوبكلي، دار رائد للكتاب، الجزائر، 2007م.
13. أجيرون شارل روبير، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919م، ج 2، تر: حاج مسعود و.ع. بلعربي، دار رائد للكتاب، الجزائر، 2007م.
14. أشرف مصطفى، الجزائر الأمة والمجتمع، (د ط)، تر: حنفي بن عيسى، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007م.
15. بسايح بوعلام، أعلام المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي بالسيف والقلم، 1830م-1954م، م 1، تع: خليل أحمد خليل، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، ط خ، الجزائر، 2010م.
16. بعلبكي أحمد، المسألة لزراعية أو الوعد الراقدي في ريف الجزائر، منشورات عويدات، بيروت، 1985م.
17. بن داهة عدة، الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830-1962م، ج 1، (د د ن)، ط خ، 2008م.
18. بن داهة عدة، الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830-1962م، ج 2، (د د ن)، ط خ، 2008م.
19. بن داهة عدة، الخلفيات الحقيقة للتشريعات العقارية في الجزائر في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي 1830-1962م، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر 2007م.
20. بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية لغاية الاستقلال، ط 2، دار الغرب الإسلامي، الجزائر.
21. بوحوش عمار، العمال الجزائريون في فرنسا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، (د ت).

22. بوعزيز يحيى ، ثورات الجزائر في القرنين 19م-20م، ثورات القرن 19، عالم المعرفة، النشر والتوزيع، ط خ، الجزائر، 2009م.
23. بوعزيز يحيى ، مدينة وهران عبر التاريخ، دار زمورة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط خ، 2015م
24. بوهليلة إدريس، الجزائريون في تيطوان خلال القرن 19 م مساهمة في تاريخ الاجتماعي المغربي، ط 1، مطبعة الهداية تيطوان، المغرب، 2012م.
25. الجزائر أحمد كمال، المفاخر في معرفة الأمير عبد القادر والسادة الأولياء الأكابر، تق: محمد زكي إبراهيم، ط 1، مطبعة العمرانية للأوفيس، الجيزة، مصر، 2007م.
26. جوليان شارل أندري، تاريخ الجزائر المعاصرة، ج1، ط خ، منشورات دار الأديب، وهران، 2006م.
27. جيلالي عبد الرحمان ، تاريخ الجزائر العام، (د ط)، دار الأمة، الجزائر، ج5، 2005م.
28. حلوش عبد القادر، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، (د ط)، دار الأمة، الجزائر، 2010 م.
29. خلاصي علي، قصبة مدينة الجزائر، ج 1، ط 1، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007 م.
30. زوزو عبد الحميد، الدور السياسي للهجرة إلى فرنسا بين الحربين 1914-1939م، (د ط)، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر 2007م.
31. زوزو عبد الحميد، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر، 1830-1900م، ديوان المطبوعات الجامعية، دار الهوفم للنشر، الجزائر.
32. زوزو عبد الحميد، نصوص ووثائق من تاريخ الجزائر الحديث، د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984.
33. سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900م، ج1، دار الغرب الإسلامي، ط 1، لبنان 1992م.
34. سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية 1900-1930م، ج2، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.

35. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1998م.
36. سعيدوني نصر الدين والشيخ البوعبدلي المهدي، الجزائر في التاريخ (العهد العثماني)، (د ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، (د ب)، (د ت).
37. شويتامأرزقي، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800م-1830م، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الجزائر، ط 1، 2011م.
38. صاري الجيلالي، الكارثة الديمغرافية 1867-1868م، (د ط)، المؤسسة الوطنية للاتصال، النشر والإشهار، ط خ، الجزائر، 2006م.
39. صاري الجيلالي، تجريد الفلاحين من أراضيهم، 1830-1962، تر: قندوز عباد فوزية، ط خ، منشورات الديوان الوطني للدراسات والبحث، 2010م.
40. طرشون نادية وآخرون، الهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي اثناء الاحتلال، ط خ، دار الهومة، الجزائر. (د ت).
41. عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي، (د ط)، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، (د ت).
42. عباد صالح، المعمرون والسياسة الفرنسية في الجزائر 1870-1900م، (د ط)، (د د ن)، الجزائر، 1984م.
43. العربي منور، تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن 19م، (د ط)، دار المعرفة، الجزائر، 2006م.
44. العسيلي بسام، المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي 1830م-1838م، دار النفائس، ط 1، بيروت، 1980م.
45. عمورة عمار، موجز في تاريخ الجزائر، دار ريجانة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 2002م.
46. فرحات عباس، ليل الاستعمار، تر: رحال، وزارة الثقافة، الجزائر 2005م.
47. فركوس صالح، إدارة المكاتب والاحتلال الفرنسي للجزائر في ضوء شرق البلاد 1844-1871م، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، 2006م.
48. فركوس صالح، تاريخ الجزائر، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال، (د ط)، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008م.

49. قداش محفوظ، جزائر الجزائريين 1830-1954م، ط خ، المؤسسة الوطنية للنشر والاشهار، الجزائر، 2008م.
50. قنان جمال، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار 1830م-1944م، (ط خ)، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، (د ط)، 2007م.
51. قنان جمال، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الاستعمار، م6، (د ط)، منشورات وزارة المجاهدين، 2009م.
52. كبريت علي، مقاومة أولاد سيدي منصور في جبل الناظور "وإبادة كاف السكومة جنوب تيارت 1864م، (د ط)، دارالقدس العربي، وهران، 2014م.
53. لحسن محمد، تاريخ إقليم عمي موسى، القرنين 19م-20م، (د ط)، دار أم الكتاب للنشر والتوزيع، مستغانم، الجزائر، 2010م.
54. لحسن محمد، عين طارق ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، (د ط)، دار أم الكتاب للنشر والتوزيع، مستغانم، الجزائر، 2012م.
55. مجاود محمد وآخرون، تاريخ منطقة سيدي بلعباس خلال الفترة الاستعمارية 1830-1962م، (د ط)، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005م.
56. المدني أحمد توفيق، حرب الثلاث مائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492-1792م، (د ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د ت).
57. المدني أحمد توفيق، هذه هي الجزائر، (د ط)، ملتزمة النشر والطبع، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2001 م.
58. مهديد إبراهيم، القطاع الوهراني ما بين 1850م و1919م، (د ط)، دراسة حول المجتمع الجزائري، الثقافة والهوية الوطنية، منشورات دار الأديب، وهران، د ت.

59. مهديد إبراهيم، المثقفون الجزائريون في عمالة وهران خلال الحقبة الكولونيالية الأولى 1912م-1850م، (د ط)، منشورات دار الأديب، وهران، 2006م.
60. مهساس أحمد، الحقائق الاستعمارية والمقاومة، منشورات وزارة المجاهدين، (ط خ)، دار المعرفة، (د ت).
61. هلال عمار، الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام 1847-1918م، (د ط)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2007م.
62. هلال عمار، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة، 1830-1962، (د ط)، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1995م.
63. واعلي محمد الطاهر، التعليم التبشيري في الجزائر من 1830-1904م، (د ط)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2009م.
- الرسائل والأطروحات:**
64. بختاوي خديجة، التحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في عمالة وهران 1870-1939م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2011-2012م.
65. بلغيث عبد القادر، الحياة السياسية والاجتماعية بمدينة وهران خلال العهد العثماني، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير، تاريخ وحضارة إسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2013-2014م.
66. حباش فاطمة، المكاتب العربية في المد الاستعماري الغرب الجزائري، 1844-1870م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه بالتاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، 2013-2014م.
67. دحماني توفيق، النظام الضريبي ببايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني 1779-1830م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، الجزائر، 2003-2004

68. دحماني توفيق، الضرائب في الجزائر، 1206هـ-1282هـ/1792م-1865م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة يوسف بن خدة، الجزائر، 2007-2008م.
69. دهنون نجاة ، التشريعات الاقتصادية الفرنسية في الجزائر وانعكاساتها على المجتمع الجزائري 1830-1900م، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر، قسم العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، جامعة بسكرة، 2015-2016م.
70. راضية بن جبور، المكاتب العربية ودورها في إنجاح السياسة الفرنسية بالجزائر 1844-1900م، مذكرة لنيل شهادة الماستر، قسم العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، جامعة بسكرة، 2012-2013م.
71. رحمون دليلة، السياسة الزراعية الفرنسية في الجزائر وآثارها على المجتمع الجزائري 1830-1914م، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر، قسم العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، جامعة بسكرة، 2012-2013م.
72. عبود علي، الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض، 1830-1899م، القطاع الوهراني نموذج كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، أطروحة لنيل شهادة الماجستير، 2013-2014م.
73. غطاس عائشة، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700م-1830م، مقارنة اجتماعية واقتصادية، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث، ج 1، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2000-2001م.

الملتقيات:

74. ثنيو نور الدين ، هجرة الجزائريين إلى المشرق العربي بين السياسة والدين، 1848م-1912م، أعمال الملتقى العلمي الأول، مطبعة الكسندر، قسنطينة، 2009.
75. علال ليندة وقلمي فايزة، الهجرة الجزائرية نحو فرنسا، أعمال الملتقى الوطني حول الهجرة الجزائرية إبان مرحلة الاحتلال، (ط خ)، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007م.

76. مهديد إبراهيم، عناصر التفكير لمقاربة الهجرات الجزائرية المعاصرة مشرقيا ومغربيا (البعد التاريخي والواقع الاجتماعي)، أعمال الملتقى الوطني حول الهجرة الجزائرية إبان مرحلة الاحتلال، ط خ ، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007م.
- المجلات والمقالات:
77. بلحسين رحوي آسيا ، وضعية التعليم الجزائري غداة الاحتلال الفرنسي، ع7، جامعة تيزي وزو، ديسمبر 2011م.
78. بليل محمد، تشريعات الاستعمار الفرنسي في الجزائر وانعكاساته على سكان المنطقة 1863-1900م، دار الثقافة، تيسمسيلت، ع 2013، 2م.
79. بليل محمد، تشريعات الاستعمار الفرنسي في الجزائر وانعكاساته على الجزائريين 1981-1914م، دار إسحاق الدين لكتاب وزراه المجاهدين الجزائر .
80. تميمي عبد المالك خلف ، الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، نوفمبر، 1983م.
81. المشهداني مؤيد محمود حمد ورمضان سلوان رشيد، أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني 1518م-1830م، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، م (5)، ع 16، نيسان 2013م.

فهرس الموضوعات

شكر وعرفان

إهداء

قائمة المختصرات

مقدمة أ

المدخل: لمحة تاريخية عن القطاع الوهراني قبيل الاحتلال الفرنسي 08

الفصل الأول: السياسة الاستعمارية في القطاع الوهراني

المبحث الأول: الاستيطان الفرنسي ومراحل 18

المبحث الثاني: مصادرة أراضي الجزائريين وإقامة المستوطنات 28

المبحث الثالث: المكاتب العربية ودورها في الاستيطان 35

الفصل الثاني: الأوضاع الاجتماعية في القطاع الوهراني ما بين 1830-1914م

المبحث الأول: بنية المجتمع السكاني في القطاع الوهراني 43

المبحث الثاني: التعليم في القطاع الوهراني ما بين 1830-1914م 53

المبحث الثالث: الوضع الصحي للسكان في القطاع الوهراني 62

الفصل الثالث: انعكاسات السياسة الاستعمارية الفرنسية

وآثارها على السكان بالقطاع الوهراني

المبحث الأول: المقاومات الشعبية المناهضة للسياسة الاستعمارية 73

المبحث الثاني: تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للسكان 81

المبحث الثالث: هجرة السكان في القطاع الوهراني 88

خاتمة 102

الملاحق 105

قائمة المصادر والمراجع 113

فهرس الموضوعات 122